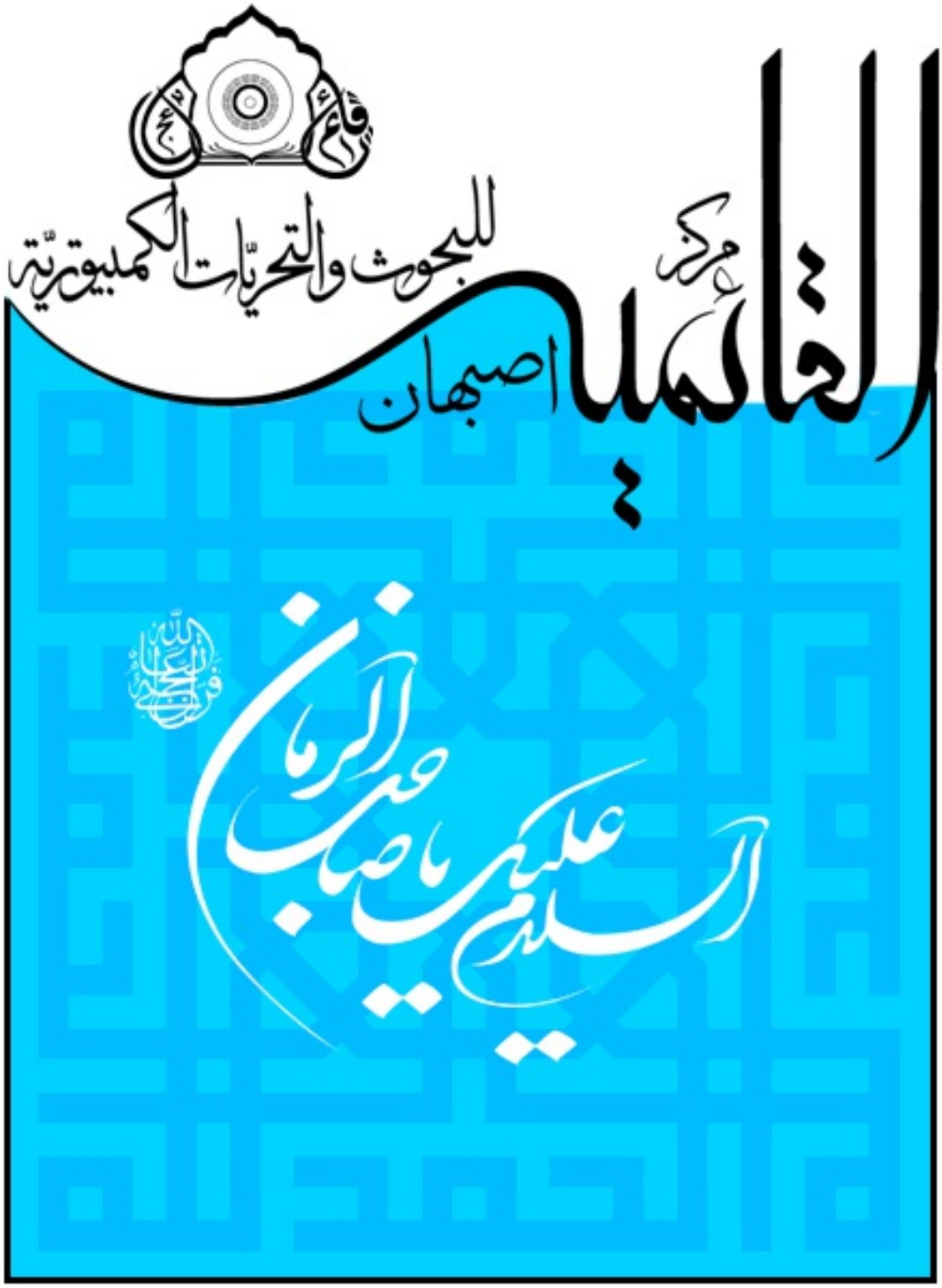

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

النبى محمد
قدوه الصديقين

بسم الله الرحمن الرحيم

النبی محمد قدوة الصدیقین

کاتب:

محمد تقی المدرسی

نشرت فی الطباعة:

سید محمد تقی المدرسی

رقمی الناشر:

مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

الفهرس

الفهرس ----- ۵
النبی محمد قدوة الصدیقین ----- ۱۳
اشارة ----- ۱۳
جوهر الشخصیة النبویة ----- ۱۳
اشاره ----- ۱۳
الاعتماد علی الایمان بالله ----- ۱۳
نور وهاج ----- ۱۴
حقیقة منسیة ----- ۱۴
برنامج روحی لتربیة النفس ----- ۱۴
اشاره ----- ۱۴
الدعاء ----- ۱۵
الصوم ----- ۱۵
تصفیة القلوب والنوایا ----- ۱۵
حسن التعامل ----- ۱۶
نشر الوعی القرآنی ----- ۱۶
العمل علی تحقیق الوحدة ----- ۱۶
ابداء ردود فعل مناسبة تجاه الأحداث ----- ۱۷
بماذا نجیب الشهداء ----- ۱۷
المعرفة المثلی لشخصیة النبی ----- ۱۷
اشاره ----- ۱۷
العمر لیس مقیاساً للایمان ----- ۱۸
معرفة کافیة ----- ۱۸
معارض مترابطة ----- ۱۸

المعرفة حب و سلوک ----- ۱۹
لا للمعرفة المجزأة ----- ۱۹
غبن و خسارة ----- ۲۰
النبی محمد وسیلة الرحمة ----- ۲۰
النبی الشاهد ----- ۲۳
اشاره ----- ۲۳
الشهادة فی الطلیعة ----- ۲۳
خلود لا متناه ----- ۲۴
مخزن طاقات هائل ----- ۲۴
الشیطان آفة الانسان ----- ۲۴
الیأس سلاح شیطانی ----- ۲۵
ماهی شهادة النبی؟ ----- ۲۵
اخلاق استوعبت البشریة ----- ۲۵
قدوة المؤمنین ----- ۲۶
اشاره ----- ۲۶
الانسان اسمی من الملائکة ----- ۲۶
سباق التکامل ----- ۲۷
القدوة.. ضرورة ----- ۲۷
النبی الأکرم خیر قدوة ----- ۲۷
شروط الاقتداء ----- ۲۸
الصلاة علی النبی و آله المعانی والدلالات ----- ۲۹
اشاره ----- ۲۹
المعانی المختلفة للصلاة ----- ۲۹
الصلاة علی النبی و آله ----- ۲۹

الضلالات الشیطانیة للبشر ----- ۳۰
اشاره ----- ۳۰
الاعتقاد بالغلو ----- ۳۰
عدم الحاجة الی الوسیلة ----- ۳۰
الحب دافع الانسان الی الطاعة ----- ۳۰
کیف نتبع رسول الله؟ ----- ۳۱
احادیث فی فضل الصلاة ----- ۳۱
لکی نقتدی برسول الله ----- ۳۱
اشاره ----- ۳۱
حبل بین السماء والأرض ----- ۳۲
هدف البعثة طاعة الرسول ----- ۳۲
الغفران باستکمال التوبة ----- ۳۲
الرسول الحاکم ----- ۳۲
مولد النور ----- ۳۳
اشاره ----- ۳۳
بدایة عصر جدید ----- ۳۳
دروس المیلاد ----- ۳۳
استفادة ممکنة ----- ۳۴
رمز وحدة الأمة ----- ۳۴
القرآن الناطق ----- ۳۵
میلاد الرحمة ----- ۳۵
اشاره ----- ۳۵
سر تجدد الذکری ----- ۳۵
حاجة متجددة ----- ۳۵

رسالة عالمية ----- ۳۶
الطبيعة البشرية باقية ----- ۳۶
رسالة السماء بلسم البشرية ----- ۳۶
قبائل العصر الحديث ----- ۳۶
انبعاث رحمانی ----- ۳۷
امة متآخية و موحدة ----- ۳۸
مسافات شاسعة ----- ۳۸
لا نجاح للمجتمع الانانی ----- ۳۸
کتاب کله هدی ----- ۳۹
انطلاقة العقل والارادة ----- ۳۹
اشاره ----- ۳۹
ارادة السماء تتدخل ----- ۳۹
خلفية جاهلية ----- ۴۰
منهاج النبی علاج مشاکلنا ----- ۴۰
المسلمون و خطر الابادة ----- ۴۱
الحوزات العلمية و ضرورة التطوير ----- ۴۱
دعوة للتجديد ----- ۴۱
مبدد الظلمات و محطم الحواجز ----- ۴۲
اشاره ----- ۴۲
المعرفة شرط اول ----- ۴۲
عادت الظلمات من جديد ----- ۴۲
من مظاهر الظلمات المعاصرة ----- ۴۳
سبيل الخروج من الظلمات ----- ۴۳
الرؤية العنصرية کفر ----- ۴۳

مقیاس الإیمان الحقیقی ۴۴
الانتماء المزدوج سبب المشاکل ۴۴
وحدة القیادة الالهیة ۴۴
منطلق الوحدة ۴۵
اشاره ۴۵
مولد الرسول مناسبة للوحدة ۴۵
الوحدة لیست شعاراً یردد ۴۵
بالحق یعرف الرجال ۴۵
اسباب الوحدة قائمة ۴۵
مثیرو الاختلافات عاجزون ۴۶
الزبد یذهب جفاءاً ۴۶
النعمة الکبری والمنة السابغة ۴۶
اشاره ۴۶
الأمة المختارة ۴۶
منة الله علی البشریة ۴۷
قیود الأنظمة ۴۷
رسول و کتاب و رسالة ۴۷
التکریم والتعظیم لایکفیان ۴۸
رسالة متمیزة ۴۸
دراسة السیرة النبویة ضرورة ۴۹
نهج الحیاة فی سیرة النبی الأعظم ۴۹
اشاره ۴۹
معاناة الرسول الألیمة ۵۰
لحظة الوداع المقدسة ۵۰

تساؤلات.. ----- ۵۰
رکائز العمل القیادی ----- ۵۱
اسقاط حجب الشرک ----- ۵۱
کلکم مسؤول ----- ۵۲
المنفذ الأول الی الجنة ----- ۵۲
الرجل الأول فی التأریخ ----- ۵۳
الاستقامة ثم الاستقامة ----- ۵۴
دورة التأریخ ----- ۵۴
اشاره ----- ۵۴
العودة الی الجذور ----- ۵۵
مبعث الهدی ----- ۵۵
اشاره ----- ۵۵
حضارة ام فرعونیة؟! ----- ۵۵
کسرویة و قیصریة ----- ۵۶
ظلام و نور ----- ۵۶
مقاومة زیف الطغاة ----- ۵۷
من وحی البعثة ----- ۵۸
رسل الله رمز التحدی ----- ۵۹
اشاره ----- ۵۹
الارتفاع الی مستوی التدبر ----- ۵۹
انعکاسات القرآن فی القلوب ----- ۵۹
رافد عذب و نبع صاف ----- ۶۰
شبهات الکفار تجاه الرسل ----- ۶۰
شبهات تافهة ----- ۶۰

الدنیا لیست نهایة المطاف ----- ۶۱
متی سیحل الأجل؟ ----- ۶۱
الهدف الحقیقی من طلب العلم ----- ۶۲
لماذا نستصغر انفسنا؟ ----- ۶۲
طریق الرسالة شائک ----- ۶۲
الرسالة الاسلامیة مشروع البشریة جمعاء ----- ۶۳
اشاره ----- ۶۳
المشروع الاسلامی منهاج عالمی ----- ۶۳
مشاریع ناقصة ----- ۶۳
مشروع الرحمة ----- ۶۴
اویس أخو رسول الله ----- ۶۴
انتظار الأمل لا یعنی السکوت ----- ۶۵
رحمة للعالمین ----- ۶۵
تیار عظیم من العاطفة ----- ۶۶
کیف نحقق السعادة الروحیة؟ ----- ۶۶
من آداب الرسول ----- ۶۶
العالم یبحث عن رسالة محمد ----- ۶۷
اشاره ----- ۶۷
جاءت الرحمة الإلهیة ----- ۶۸
العفو النبوی الأعجوبة ----- ۶۸
محمد.. الأمل ----- ۶۹
کل الایجابیات للاسلام ----- ۶۹
رحمة استوعبت البشریة ----- ۶۹
ازمة اخلاق و ضمیر ----- ۶۹

واجبنا ازاء الرسالة ----- ۷۰
رسالة العلم والحیاة السعیدة ----- ۷۰
کیف ندعو العالم الی نهج النبی؟ ----- ۷۰
اشاره ----- ۷۰
نفوس مکبلة بالقیود ----- ۷۰
ثقافة المادة ----- ۷۱
الحیاة فی ظل الاسلام ----- ۷۱
انهم یحطمون القیم ----- ۷۲
مسؤولیة کبیرة ----- ۷۲
پاورقی ----- ۷۲
تعریف مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة ----- ۷۴

النبی محمد قدوة الصدیقین

اشارة

اسم الکتاب: النبی محمد قدوة الصدیقین

المؤلف: آیة الله السید محمد تقی المدرسی

اللغة: عربی

قطع: رقعی

عدد الصفحات: ۲۵۷

المجلدات: ۱

الرسول (صلی الله علیه وآله) اعتمد علی الایمان بالله ، فقد کان عارفاً بخالقه ومن خلال معرفته هذه وایمانه الکامل استطاع ان یقف کالجبل الاشم امام کل الانحرافات ، ویدفع بسفینة البشریة الی شاطئ النجاة ...

جوهر الشخصیة النبویة

اشاره

انطلاقاً من قوله - تعالی -: (لَقَدْ کَانَ لَکُمْ فِی رَسُولِ الله اُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) (الاحزاب / ۲۱) نستلهم من سیرة الرسول (صلی الله علیه وآله) المبارکة عبراً ودروساً نستضیء بها فی طریقنا الشائک الذی نسلکه الآن من أجل انتصار العدالة والحریة فی الارض، ومن أجل تحقیق حکم الله - عز وجل - تحقیقاً کاملاً.وفی هذا المجال نطرح السؤال المهم التالی: ماهو جوهر هذه الشخصیة الرسالیة التی لم یخلق الله - تعالی - لها مثیلاً من قبل ولاً من بعد، وما الذی جعل الرسول (صلی الله علیه وآله) وهو بشر یقف امام جبروت الطغاة، وفساد الانظمة، وانحرافات الجاهلیة، ویزود البشریة بزخم قوی هائل استمرت علی اثره بالتصاعد، وستستمر حتی قیام الساعة؟وحتی الامام المنتظر (عجل الله فرجه الشریف) فانه سوف لا یأتی برسالة جدیدة، بل انما یأتی لتطبیق رسالة جده (صلی الله علیه وآله) لان هذه الرسالة کاملة؛ وهو انما یظهر لتطبیقها لا بجهوده فحسب، ولا بانتصار الغیب له فقط، وانما ایضا بجهود النبی (صلی الله علیه وآله) ومن استلهم منه، ذلک لان المسلمین الحقیقیین یستلهمون من حیاة الرسول (صلی الله علیه وآله)، وسیرة الأئمة المعصومین (علیهم السلام) الایمان الحق ویطبقون الاسلام وینشرونه لیظهر بعد ذلک الامام المهدی (علیه السلام) مطبقا جمیع احکام الاسلام، ومالئا الارض قسطاً وعدلاً.

الاعتماد علی الایمان بالله

فما هو جوهر هذه الشخصیة، وما الذی دفعها الی ان تقف امام کل التیارات المادیة بکل مالها من عنفوان واندفاع وضغوط؟بکلمة واحدة نقول ان الرسول (صلی الله علیه وآله) اعتمد علی الایمان بالله، فقد کان عارفاً بخالقه ومن خلال معرفته هذه وایمانه الکامل استطاع ان یقف کالجبل الاشم امام کل الانحرافات، ویدفع بسفینة البشریة الی شاطئ النجاة.وفی تلک اللحظة التی خرج فیها النبی (صلی الله علیه وآله) منمکة المکرمة فانه خرج منها مهاجراً تارکاً ارضه وبلده، واعز بقاع الارض الی قلبه ألا وهو بیت الله الحرام، فالتاریخ یروی لنا انه (صلی الله علیه وآله) عندما خرج من مکة التفت لفتة الیها وقد اغرورقت عیناه الکریمتان بالدموع، ولکن جبرائیل (علیه السلام) سرعان ما أوحی الی قلبه قائلا: (إِنَّ الَّذِی فَرَضَ عَلَیْکَ الْقُرْءَانَ لَرَآدُّکَ إِلَی مَعَادٍ) (القصص / ۸۵)، وهنا اطمأنت نفسه

وخرج من مكة مهاجرا تلك الهجرة التى كانت اللبنة الاولى لبناء الامة الاسلامية فى التأريخ.وفى الحروب وقف مع الرسول (صلى الله عليه وآله) اصحابه الابطال المخلصون وفيهم من امثال على بن ابيطالب (عليه السلام) وجعفر، وأبى ذر وغيرهم من الذين كان الواحد منهم يقف امام الناس جميعاً دون خوف او وجل الى درجة ان علياً (عليه السلام) قال ": والله لو تظاهرت العرب على قتالى لما ولّيت عنها، ولو امكنت الفرص من رقابها لسارعت إليها [".. ۱] ومع شجاعة على (عليه السلام) الفائقة هذه فانه كان يقول ": كنا إذا احمر البأس اتقينا برسول الله (صلى الله عليه وآله) فلم يكن أحد منا أقرب الى العدو منه [" ۲] .

نور وهاج

ترى ما الذى جعل قلب الرسول (صلى الله عليه وآله) بهذه الدرجة من الشجاعة والصمود بحيث يلوذ به على (عليه السلام) وأمثاله من الابطال؟ان الانسان عندما يدرس حياة النبى (صلى الله عليه وآله) بفكره البسيط والمحدود فانه لا يستطيع ان يستوعب ما أحدث (صلى الله عليه وآله) من تغييرات جوهرية فى العالم. لقد كان مبعثه (صلى الله عليه وآله) ايذانا بحدوث امواج هائلة القوة ومتصاعدة فى حياة البشرية، فما هو النور الوهاج الذى اضاء قلبه ليضيء معه العالم برمته؟انه الايمان بالله والمعرفة به؛ ففى كل قضية تلجأ البشرية اليه وهو يلجأ الى الله – عز وجل –، وفى كل ليلة كان (صلى الله عليه وآله) يقوم ثلاث مرات ليعبد ربه، ويستلهم من عبادته الشيء الكثير من العزم والصمود؛ فى بداية الليل بعد صلاة العشاء كان (صلى الله عليه وآله) يغفو غفوة، وفى بداية الثلث الثانى من الليل يقوم من النوم لينحدر الى مناسكه وعباداته ويستمر متعبدا الى الصباح.اننى هنا أريد ان اوجه انظار القراء الكرام الى هذه النقطة بالذات، فلقد نسينا الله – سبحانه –، وفى طليعة الاشياء التى نسيناها بعد الله – تعالى – انفسنا كما قال – عز وجل –: (نَسُوا الله فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ) (الحشر / ۱۹)، وهذا يعنى اننا اذا نسينا الله فاننا سوف ننسى قدراتنا وطاقاتنا وكرامتنا.. فنحن لم نبتل بما ابتلينا به لحد الآن من مآس وويلات، ومن تجبر المستكبرين فى الارض، وضغوط الطواغيت، وفساد المفسدين إلا بعد ان نسينا خالقنا وبارئنا.

حقيقة منسية

وعلينا الآن ان نعود الى الله، والى عبادته عبادة حقيقية، والتضرع إليه تضرعاً نابعاً من القلب، فالله – عز وجل – لايمكن ان ينخدع – وحاشاه ان ينخدع – بهذه الصلوات الجوفاء، والعبادات الفارغة، والشعائر القشرية. هذه لايمكن ان تنفع امتنا شيئا لا فى الدنيا ولا فى الآخرة، والشيء الوحيد الذى ينفعنا هو الحقيقة واللب؛ فالله – تعالى – لا يطلب منا كثرة الصلاة والصيام، بل قلبا خاشعا وعينا دامعة وسلوكا مستلهما من ايماننا الحقيقى به.ولذلك فانى الفت الانظار الى هذه الحقيقة المنسية ونحن نعيش المأساة فى كل مكان، فقد تظاهرت الدنيا علينا وكادت المؤامرات تخنقنا، فهناك الآن اكثر من ألف مليون مسلم يعيشون تحت الوان من العذاب فى كل مكان، ومثل هذه الظروف تدعونا الى ان نعود الى الله – تعالى –، وان نصفى قلوبنا، ونطهرها من الاحقاد والضغائن، ليكون ما بيننا وبين الله عامراً، وهو – عز وجل – بدوره سيصلح ما بيننا وبين الآخرين.

برنامج روحى لتربية النفس

اشاره

ولنضع فى هذا المجال برنامجا روحيا لتربية انفسنا، فنحن لو حكمنا البلاد – مثلا – وفى قلوبنا احقاد تجاه بعضنا البعض فسوف ندمر انفسنا، فلنخرج – اذن – هذه الضغائن من قلوبنا، ونقتلع جذورها اولاً، ثم نفكر بعد ذلك فى اقامة حكم الله، فان احداً لا يستطيع ان يطبق هذا الحكم إلا من كان يمثل فى سيرته وسلوكه وخلقه رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فليس من المعقول ان يستطيع اقامة

حکم الله من استبد به حب الرئاسة، ولذلک فانی اوصی جمیع الرسالیین فی کل مکان بأن یبادروا الی تزکیة انفسهم، والتوبة الی الله – عز وجل – والانابة الیه وذلک من خلال تطبیق فقرات المشروع التربوی التالیة:

الدعاء

ان اهمیة الدعاء لیست اهمیة مادیة فحسب، کما انها لا تقتصر علی اصلاح النفس البشریة، وتحدید نقاط الضعف فیها، بل ان اهمیته تکمن فی انه یربط الانسان بالقدرة الالهیة التی لا تنتهی، فالدعاء یجعل قلوبنا مضاءة بنور الایمان، فلنتضرع الی الله فی جوف اللیل، فإن بیده الأمور وهو الذی یرفع من یشاء ویضع من یشاء ویؤتی الملک من یشاء وینزعه ممن یشاء وبیده کل شیء.ان الدعاء الحقیقی هو الدعاء الذی یدفعنا الی العمل فی ایامنا، أولم یکن اصحاب رسول الله (صلی الله علیه وآله) الذین خرجهم من مدرسته بفضل تعالیم الوحی رهبان اللیل وفرسان النهار؟ لقد کانت ضراعتهم فی اللیل هی التی تدفعهم الی ان یخوضوا غمار الحرب کالاسود فی النهار، حتی قال (صلی الله علیه وآله "): ونصرت بالرعب من مسیرة شهر [".. ۳] .فلنقف لله خاضعین خاشعین بعد صلواتنا، ونحن نری ان ائمة الثورة وقادة الرسالة وهداة الامة کانوا یحثون الناس علی الدعاء فی أشد الظروف واحلکها، فعندما تنقطع الوسائل ولا تبقی للانسان وسیلة للدفاع عن نفسه من أجل القیام بالثورة الحقیقیة، فحینئذ تبقی وسیلة اخری انما هی وسیلة انتماء الانسان الی الثورة، فعندما تشتد الظروف، ویتصاعد الارهاب ینقطع انتماء الانسان الی الثورة فلا یشعر انه جزء منها، وهنا یلعب الدعاء دوره، لیحافظ علیثوریة الانسان، ویبقیه منتمیاً الی مجتمع الثورة، وأمة الانطلاق.ولذلک فاننا نؤکد علی الاخوة المجاهدین العاملین فی الساحة ان لاینسوا هذا السلاح الفعال الذی یقول عنه النبی (صلی الله علیه وآله "): الدعاء سلاح المؤمن وعمود الدین ونور السماوات والأرض ["۴] .والدعاء هنا له جانبان؛ الجانب الأول ان تدعو الله – عز وجل – ان ینصرک علی عدوک، والجانب الثانی ان تدعوه لکی یخذل عدوک.وفی یوم القیامة سوف یحاسب الله – سبحانه – الانسان علی ترکه للدعاء الذی یحارب به الطواغیت، والظالمین، ویلعنهم من خلاله، ویطالب باسقاط دعائم حکمهم، وتقریب آجالهم، فکل انسان مکلف ومسؤول امام الله عن الدعاء وراء کل صلاة، وفریضة لاسقاط الطاغوت، فربما تکون هناک آهة حزینة تخرج من قلب مظلوم ومفجوع تستجاب عند الله – جلت قدرته – وتقضی علی الطاغوت.صحیح ان هناک فی الکون سنناً ومصالح، وان هناک حقاً یحکمه، ولکن من سنن الله استجابة الدعاء، والصلاة التی یأمرنا الخالق بادائها قائلا: (وَاسْتَعِینُوْا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ) (البقرة /۴۵) جوهرها الدعاء، وقد روی عن الامام علی (علیه السلام) انه کان یدعو فی القنوت علی اعداء الامة الاسلامیة بأسمائهم، ونحن ایضاً یجب علینا ان ندعو علی اعداء الاسلام باسمائهم ومن المؤکد ان الله – تعالی – سوف یستجیب لنا لانه رحیم بعباده.

الصوم

علینا بالصوم فان الله – عز وجل – یقول: (وَاسْتَعِینُوْا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ) فقدم الصبر الذی هو الصوم علی الصلاة، وعلی المجاهدین فی سبیل الله ان یمارسوا الصیام کل اسبوع علی الأقل، لان الصوم من شأنه ان یزید من ایمانهم، وصلابتهم، ویجعل نفوسهم شفافة، کما یجعل ارادتهم صلبة وقویة، ویذکرهم دوما بالمأساة التی تعیشها شعوبهم، وهنا أوکد علی المجاهدین البعیدین عن اوطانهم والذین من الممکن ان یفقدوا شیئا فشیئا انتماءهم الی شعوبهم الرازحة تحت نیر الطغاة، ویفقدوا احساسهم بمآسی شعوبهم هذه، فمن خلال الصوم، هذه العبادة المهمة سیتذکرون دوماً الآلام والمحن التی یعیشها اخوتهم فی السجون والمعتقلات.

تصفیة القلوب والنوایا

علینا ان نصفی قلوبنا ونوایانا تجاه اخوتنا المؤمنین، فإذا قَستقلوبنا تجاه بعضنا البعض، واذا لم نشعر بالمسؤولیة، وابعدنا انفسنا عن

المعركـة فـان الله – تعـالى – سوف ينزل غضـبه علينـا، وعنـدما تكون نياتنـا صافيـة، واعمالنـا خالصـة لوجه الله فان اعمالنا سوف تؤتى ثمارها، فالعمل يصـطبغ بالنيـة الصالحة. وهذه هی وصـيتی للمجاهدين الرساليين العاملين فی الساحة، فعلى كل واحد منا عندما ينهض من نومه صـباحا أن يتفكر فی الاعمال التی قام بها؛ هل كانت لله – تعالى – أم للشـهرة، ولذاته؟ ولنحذر من ان ندخل النار – لا سـمح الله – بالاعمـال التی هی صالحـة فی الظاهر، فهناك البعض من الناس سـيعذبون بالنار بسـبب صـلاتهم، وصومهم، وحجهم وغيرها من العبادات التی ادوها رياءا وسمعة.

حسن التعامل

من الأـمور المهمـة التی يجب ان نلتزم بها ونحن نخوض الجهاد، ان نحسن تعاملنا مع بعضـنا البعض، فالتُهم، والافتراءات، وسوء الظن، والغيبة كلها امور من شأنها ان تؤخر انتصار الثورة حتى وإن قدمنا التضحيات الجسيمة، وسالت منا الدماء الغزيرة، لان كلمة السوء تؤثر فی القلب والنفس، وتعتبر من الآثـام الكبيرة كمـا قـال – عز وجـل – (اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلاـ تَجَسَّسُوا وَلاَ يَغْتَب بَعْضُـكُم بَعْضاً أَيُحِبُ أَحَـدُكُمْ أن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ). (الحجرات / ۱۲)وقـد نهانا القرآن الكريم عن ان نقول مالا علم لنا به، وان نتريث قبـل اصـدار الاحكـام كمـا اشـار الى ذلـك – تعـالى – فی قوله: (إن جَـآءَكُمْ فَـاسِقٌ بِنَبَـإٍ فَتَبَيَّنُوا أن تُصِـيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ) (الحجرات / ۶)، ففی كثير من الاحيان نسـمع اشاعة ضد اخواننا المؤمنين فنبادر الى تصديقها دون علم وتثبت، ونتخـذ على أثر ذلك مواقف ارتجاليـة نندم بعدها حيث لا ينفع الندم، ان علينا ان نأخذ بنظر الاعتبار فی هذا المجال ان للسان دوره فی الحياة، وانّنا يجب ان ننزه السنتنا عن التهمة، والافتراء، والغيبة، وان يكون هدفنا توحيد الصفوف، ولم الشمل.

نشر الوعی القرآنی

يجب ان لا ـيكون همنـا ان نحـدث النـاس عن الثورة دون ان نقوم بـدورنا فی نشـر الوعی الـدينی والقرآنی، فلو لم نسـتطع احيـاء دور القرآن الكريم فی مجتمعاتنـا، واعـادة النـاس الى تلاوة القرآن، والتـدبر فی آيـاته، والاسـتلهام من نوره فـان الثورة سوف لا تنمو، ولا تنتصـر.ان الجمـاهير قـد ادركت الآن ان الاسـلام حق من خلال ما يجری فی الساحـة، لقـد جربت الشـرق والغرب وعرفت ماذا يجران عليهـا مـن ويلاـت ومآسـی، واكتشـفت ان هـذه الافكـار الماديـة خاطئـة، وبـدأت الآـن تتـوجه نحـو الاسـلام، فعلينـا ان نسـتغل هـذه الفرصةلتزويـدها بغذاء ثقافی لكی نسـتطيع الاعتماد عليها.ان تلاوة القرآن ودراسـته يجب ان تكونا فی طليعة اعمال الثوار؛ فكل انسان ثوری يجب ان يقرأ يوميـا صـفحات من القرآن الكريم يتـدبر فيهـا ليعرف طبيعـة ثورته، فالانسـان المجاهـد عنـدما يستشـهد وهو يتلو القرآن فان درجته سـتكون ارفع من سائر الشـهداء فقـد جاء فی الحديث الصـحيح عن الامام الصادق (عليه السـلام "): وعليكم بتلاوة القرآن فان درجات الجنة على عدد آيات القرآن، فاذا كان يوم القيامة يقال لقارئ القرآن اقرأ وارق فكلما قرأ آية رقا درجة [".. ۵] ؛ ای اقرأ القرآن وارق الدرجات عند الله – عز وجل –، فالشهيد عندما يكون قارئا للقرآن الكريم فان درجته ستكون مع الصديقين.

العمل على تحقيق الوحدة

علينا ان نعلم ان تحقيق الوحـدة عملية صـعبة جدا، فعلى الانسان ان يبنی كيان هذه الوحدة لبنة لبنة من القاعدة، وهذه الوحدة تبدأ من العائلة، ثم الاصدقاء، ورفاق الجهاد لتسود المجتمع الصـغير ثم الكبير، ولذلك فان على الامة الاسلامية ان توحد نفسها من القاعدة من خلاـل تشـكيل اللجـان الثوريـة فی كـل مكان، وهـذه اللجان يجب ان لا تقتصـر فی نشاطها على الحـدود والاطارات التی ينخرط فيها الشـباب فقط، بل يجب ان تشـمل الوحدة جميع شـرائح الأمة وفئاتها.وقد أثر عن رسول الله (صـلى الله عليه وآله) انه عندما كان يبعث مجموعة صـغيرة لاداء مهمة معينة فانه كان يختار لهذه المجموعة قائداً، وعلينا نحن ايضا ان نوحد انفسـنا، ونسـتجمع قوانا، ونخرج من

ذاتیاتنا، ونصلح ما بیننا.ان هـذه المرحلـة تقتضـی ان نخطو خطوات متدرجـة لتحقیق اهـدافنا، اما اذا اردنا ان نحقق هـذه الاهداف مرة واحدة، وعلی مستوی واسع فان الفشل سیکون مصیر هذه الأهداف.

ابداء ردود فعل مناسبة تجاه الأحداث

علی کل واحد منا ان یبدی رد فعل مناسب تجاه الأحداث؛ فاذا سـمع الواحد منا ان اخا له فی الایمان قد استشهد، وان آخر قد اعتقل، وان مؤامرة قـد نفـذت ضـد اخوان لنا فی الـدین فی هـذا البلـد الاسـلامی أو ذاک، فان علینا ان نتخـذ موقفا ازاء هـذه الاحـداث کأن نشترک فی تظاهرة، او نکتب کلمة، او نلقی خطابا.... اما إذا مرت تلک الحوادث دون ان نحرک ساکنا فان هذا الموقف یسبب قسوة قلوبنا.و فی هذا المجال یروی عن الامام علی (علیه السـلام) انه تألمکثیراً عندما سـمع ان امرأة مسـلمة قد أخذت منها زینتها غصـبا فی احـدی الغـارات حتی انه قال ": لو ان رجلا مات من ذلک کمـدا لما کان عنـدی ملوماً، " فی حین اننا نری الآن الکثیر من المسـلمین یقرأون الأخبار ثم یمرون علیها مر الکرام!

بماذا نجیب الشهداء

تری بماذا سـنجیب الشـهداء غـدا عنـدما یواجهونا ملطخین بـدمائهم، فلا یـدعونا نخترق الصـفوف للـدخول فی الجنـة ویحتجون علینا قائلین: ان دماءنا فی ذمتکم، وعلی عواتقکم! تری بماذا سـنجیبهم؟ ان دماءهم فی اعناقنا، والراضی بالظلم کفاعله، والساکت عن الحق شیطان اخرس، والله - سـبحانه وتعالی - یشـمل الناس بالبلاء عنـدما یعینون الظلمة والمجرمین بالرضا.ان کل انسان قادر علی ان یبدی رد فعل وإن ادعی انه لایسـتطیع ذلک، فاذا سـمعت - مثلًا - ان الثوار قاموا بعملیة ما واستشـهدوا فبإمکانی ان ادفع قدراً من المال الی هذه الحرکة، او تلک الجماعة التی قامت بتلک العملیة إذا لم استطع الذهاب الی ساحة المواجهة، والاشتراک الفعلی فی القتال، فعلینا ان نقسم الادوار بیننـا، فالـذین لایسـتطیعون الاـشتراک فی الجهـاد علیهم ان یـدعموا الحرکـة الجهادیـة بالاـموال والامکانیات، لیقوم القادرون علی حمل السلاح بدعمالحرکـة الجهادیة بدمائهم وتضـحیاتهم.ان الشـعوب الاسـلامیة لو قامت بابداء ردود الفعل المناسـبة تجاه الظروف والاحداث العصیبة والمأساویة التی تمر بها لاستطاعت ان تزیل حکم الطغاة، وتقاوم الظلم والفساد والانحراف، فالحکام المتجبرون لم یستطیعوا التحکم بنـا، والسـیطرة علی مقـدراتنا، و ابعادنا عن دیننا وعقیـدتنا إلا بعـد ان خیم الصـمت والسـکوت علینا، واصبحنا لا نبـدی ای حراک ازاء ما یجری حولنا، ولا نشارک فی الأحـداث مشارکـة ایجابیة فعالة من شأنها ان تحقق لنا الحیاة الحرة الکریمة حیث لا ظلم، ولا طغیان.

المعرفة المثلی لشخصیة النبی

اشاره

فی العدیـد من النصوص الاسـلامیة نلاحـظ التأکیـد علی الفکرة القائلـة بـأن الله - عز وجل - اول ما خلق من الانوار القدسـیة نور نبینا وحبیب قلوبنـا محمـد بـن عبـد الله (صـلی الله علیـه وآلـه)، وانـه خلـق السـماوات والأـرض والجنـان والکائنـات جمیعـا بهـذا النـور النبوی.فلنتعرف ولو بمقـدار قلیـل علی حیـاة نبینا (صـلی الله علیه وآله) وعلی شخصـیته الفـذة ذلک لأن معرفتنا به هی التی تقربنا الیه، وکلما اقتربنا من معرفتنا له (صـلی الله علیه وآله) اقتربنا من ربنا، فدرجات الناس فی الآخرة انما هی بقدر عقولهم ومعارفهم، والاعمال هی بالنیات، لأن عظمـة العمل وعظمـة الانسان العامل له تتجلیان فی الأهـداف الکبیرة التی یقوم الانسان بذلک العمل من اجلها، ومن هنا فکلما کانت معرفة الانسان بربه اسمی، کانت اعماله اکثر سمواً وعظمة.

العمر لیس مقیاساً للایمان

ان المسافة الزمنیة التی یقطعها الانسان من حین ولادته وحتی وفاته لیست میزانا ومقیاسا فی ارتفاع درجاته او تسافلها، ففی لحظة واحدة قد یقطع الانسان عشرات الملایین من الدرجات الی ربه، وهذه اللحظة هی لحظة المعرفة.ان البعض یعرف رسول الله (صلی الله علیه وآله) کقائد، وکرجل عربی انقذ العرب من الجهل والضلالة والتمزق والتجزئة والتخلف، وبعث فیهم نهضة حضاریة متسامیة، والبعض الآخر یسمو علی ذلک فیقول انه کان رسول الله، وانه کان یحمل رسالة من الغیب، وکان الوحی یتنزل علیه، ولکنه کان فی بعض الاحیان یرتکب بعض الأخطاء والهفوات، وتصورهم هذا لیس بالتصور الذی یلیق بشخصیة الرسول (صلی الله علیه وآله).

معرفة کافیة

وهناک من یعرفه (صلی الله علیه وآله) باعتباره اماماً للرحمة، وقائداً للهدی، وسراجاً منیراً، ولکن هؤلاء یقتصرون علی الکلمات وظواهرها التی جاءت فی الذکر الحکیم، او وردت فی الروایات والنصوص، او فی کلمات أمیر المؤمنین (علیه السلام) وما أجلها واعظمها من کلمات تصف شخصیة الرسول (صلی اللهعلیه وآله) بأعظم الوصف واجله.ومثل هؤلاء علی خیر لأنهم عرفوا النبی (صلی الله علیه وآله) بأدنی ما یمکن ان یعرف به؛ لقد عرفوه بالتجلی الظاهر له، وبالبشریة التی جعله الله – تعالی – فیها، وهذه المعرفة کافیة، وصاحبها یکون من اصحاب الایمان.ولکن السؤال المهم المطروح هنا هو: هل بذلک فحسب تتم معرفة شخصیة الرسول (صلی الله علیه وآله)؟کلا بالطبع، فنحن لو ادرکنا بعمق معنی ان الله – عز وجل – خلق نور نبینا محمد (صلی الله علیه وآله) قبل ان یخلق سماءاً أو أرضاً او ملائکة، ثم اضفنا هذه الفکرة الی الروایة التی وردت عن رسول الله (صلی الله علیه وآله) فیقول ": یا علی ان أول خلق خلقه الله عز جل العقل فقال له أقبل فأقبل ثم قال له: أدبر فأدبر، وقال وعزتی وجلالی ما خلقت خلقاً هو أحب إلی منک، بک آخذ وبک أعطی، وبک أثیب، وبک أعاقب. [" ۶] لو عرفنا هذه الروایة وقارناها بتلک الفکرة، وعرفنا ان الله – تبارک وتعالی – خلق الکائنات خلال لحظة واحدة، وان هذه الکائنات بما فیها من شموس ومجرات ماهی إلا جانب من خلق الله، وان البشریة لیس باستطاعتها ان تبلغ آماد وابعاد الکائنات التی یخلقها الله فی کل لحظة... لو عرفنا کل ذلک فلعلنا حینئذ نعرف شیئا من عظمة نبینا (صلی الله علیه وآله). ولکن هیهات، فهو (صلی الله علیه وآله) عندما یقول لعلی (علیه السلام "):یا علی ما عرف الله إلا أنا وأنت، وما عرفنی إلا الله وأنت، وما عرفک إلا الله وأنا " فان هذا القول لیس مجرد مبالغات، ولکن عقولنا هی التی تقصر عن بلوغ وادراک هذه الابعاد.

معارض مترابطة

تری ماذا یعنی ان الله – تعالی – خلق الکون بنور الرسول (صلی الله علیه وآله)، وخلق الجنة بنور أبی عبد الله الحسین (علیه السلام)؟ وهل هی مبالغات وأوهام؟ اننا لم نعهد فی کلامهم (علیهم السلام) اوهاماً ومبالغات، حیث جاء عن رسول الله (صلی الله علیه وآله) یقول فی ذلک: خلقنا الله نحن حیث لا سماء مبنیة ولا أرض مدحیة و عرش ولا جنة ولا نار. کنا نسبحه حین لا تسبیح ونقدسه حین لا تقدیس، فلما أراد الله بدء الصنعة فتق نوری فخلق منه العرش فنور العرش من نوری، ونوری من نور الله وأنا أفضل من العرش.ثم فتق نور ابن أبی طالب فخلق منه الملائکة، فنور الملائکة مننور ابن أبی طالب ونور ابن أبی طالب من نور الله ونور ابن أبی طالب أفضل من الملائکة، وفتق نور ابنتی فاطمة منه فخلق السماوات والأرض فنور السماوت والارض من نور ابنتی فاطمة ونور فاطمة من نور الله، وفاطمة أفضل من السماوات والأرض، ثم فتق نور الحسن فخلق منه الشمس والقمر فنور الشمس والقمر من نور الحسن ونور الحسن من نور الله، والحسن أفضل من الشمس والقمر، ثم فتق نور الحسین فخلق منه الجنة والحور العین فنور الجنة والحور العین من نور

الحسین، ونور الحسین من نور الله، والحسین أفضل من الجنة والحور العین. [" ۷] .ان ذلک الخلق الأعظم الذی خلقه الله – تعالی – مجردا من کل شائبة وتغییر، والذی بقاؤه مستمد من بقاء الذات الالهیة، هذا الخلق وهبه الله للانسان وجعل نوره فی قلب محمد (صلی الله علیه وآله) الذی هو حبیب الله – عز وجل –، وهذا اللقب یعنی ان الله یحبه، ویکرمه، ویعظمه، وانه قد جعله اقرب الناس إلیه. انها کلمة لا یمکن ان نعرف ولو جزءاً بسیطاً من أبعادها، إلّا بعد ان نعرف شیئاً ما عن عظمة ربنا – سبحانه وتعالی –.تری لماذا سقطت فی یوم مولده الاعظم شرفات المدائن، ولماذاغاضت بحیرة ساوة، وفاضت بحیرة السماوة، ولماذا اطفئت نیران فارس فی معابدها، ولماذا ضربت نجوم السماء بعضها بعضا، ولماذا حدثت تغیرات هائلة فی الکون؟ کیف ولماذا انبعث النور من بیت آمنة بنت وهب الی عنان السماء، هذا النور الذی اضیئت به جنبات مکة، ولماذا جعل الله – تعالی – امته افضل امة، وخیر امة أخرجت للناس؟اننا إن لم نعرف هذه الحقائق ولم نأخذها بعین الاعتبار فان علاقتنا بالنبی (صلی الله علیه وآله) ستکون علاقة طفیفة هشة وغیر کافیة لکی تحملنا الی الدرجات السامیة، وبالاضافة الی ذلک فان معرفتنا بالرسول (صلی الله علیه وآله) إن لم تتم فان معرفتنا بالأئمة (علیهم السلام) لایمکن ان تتم، ومن لم تتم معرفته بهم (علیهم السلام) فان دینه سیکون ناقصا کما یشیر الی ذلک بصراحة الدعاء المعروف ":اللهم عرفنی نفسک فإنک إن لم تعرفنی نفسک لم أعرف رسولک، اللهم عرفنی رسولک فإنک إن لم تعرفنی رسولک لم أعرف حجتک، اللهم عرفنی حجتک فإنک إن لم تعرفنی حجتک ضللت عن دینی [" ۸] .

المعرفة حب و سلوک

فلنکمل معارفنا التی هی درجاتنا الی الله – تعالی –، ولابد ان تتحول هذه المعرفة الی حب، والحب الی سلوک، والسلوک الی برنامج، والبرنامج الی خط نستقیم علیه حتی الممات، والمعرفة إذا کانت متکاملة، وکانت معرفة العقل والعاطفة، ومعرفة اتصال القلب بمن یعرف، فان هذه المعرفة هی التی ستتحول الی حالة حب، وفی هذه الحالة سنحب الرسول (صلی الله علیه وآله)، والحبیب لمن یحب مطیع – کما یقال –، فالانسان یتبع ویطیع من یحبه شاء أم أبی، لان القسم الأکبر من سلوکیات الانسان یمثل الجزء غیر الواعی منه.وعلی هذا فان مجموعة کبیرة من سلوکیات الانسان تتبع اللاوعی، فالحب والبغض یدخلان فی اللاوعی وهما اللذان یقودانه، فعندما یجعل الانسان شخصا ما قدوته، واسوته، وامامه، وقائده، ویضمر له الحب الکبیر فان سلوکیات هذا الشخص سوف تنعکس علیه بشکل لا- إرادی.فإن أحب الانسان شخصا کالنبی (صلی الله علیه وآله) الذی هو حبیب الله ورسوله، وصاحب الخلق العظیم، والآداب الرفیعة، والسلوک السامی، فانه – بالطبع – سوف یبرمج فکره، وسلوکه، ولاوعیه طبقاً لحیاته (صلی الله علیه وآله).یخطئ من یزعم ان اکثر اعمال الانسان تصدر منه قسریا، بل انها علی العکس من ذلک تأتی بصورة عفویة وبدون تکلف، ولکن هناک حاجزاً لابد من التذکیر به عسی ان یکون هذا التذکیر مفیداً، وهذا الحاجز یتمثل فی اننا نحب الرسول (صلی الله علیه وآله)، واننا نحرص علی ان نربی اطفالنا علی حبه وحب الأئمة (علیهم السلام) ولکن المشکلة اننا لا نعرف سلوکه، فعندما نری ان حیاتنا مختلفة عن حیاته (صلی الله علیه وآله) فالسبب فی ذلک یعود الی قلة معرفتنا بسیرته.ان علینا ان ننظر الی حیاة الرسول (صلی الله علیه وآله)؛ کیف کان یمشی، وکیف یصافح، ویبتسم، ویبکی، ویقوم، ویجلس... فهذه کلها آداب وبرامج نحن بعیدون عنها ولو عرفناها معرفة کاملة لاستطعنا التکیف معها.

لا للمعرفة المجزأة

وهناک ملاحظة اخری وهی ان معرفتنا بالرسول (صلی الله علیه وآله) یجب ان لا تکون معرفة مجزأة فعلینا ان لا نعرفه (صلی الله علیه وآله) کقائد، ثم نجهله کمعلم ومرب، ثم نجزئ هذه المعارف عن بعضها لتکون مجموعة نقاط غیر مترابطة مع بعضها، فمثل هذه المعرفة الناقصة والمشوهة لاتدفعنا الی اتباع النبی (صلی الله علیه وآله)، بل لابد ان نجعل معرفتنا بحیاته وسیرته معرفة متکاملة؟ أی ان

ننظر اليه (صلى الله عليه وآله) من خلال معرفتنا بسيرته، وكأننا ننظر الى شخص حاضر امامنا، وحينئذ سيصبح النبى (صلى الله عليه وآله) امامنا حقاً، ومن اصبح الرسول امامه اهتدى حتى فى بعض السلوكيات التى لم نجد الحديث عنها فى التأريخ بشكل مباشر، فنحن فى هذا المجال نستطيع ان نتصور ان الرسول (صلى الله عليه وآله) لو كان موجوداً فماذا كان سيفعل؟ وذلك من خلال معرفتنا بسائر أبعاد شخصيته.

غبن و خسارة

ان من الغبن والخسارة والحرمان ان يعيش الانسان المسلم سنوات طويلة من عمره وهو لايعرف ائمته، ولا يعتقد بهم إلّا اعتقاداً سطحياً وعابراً.وعلى سبيل المثال فاننا نذكر الامام على (عليه السلام) دون ان نتعمق فى شخصيته وهكذا الحال بالنسبة الى سائر الائمة (عليهم السلام) فنحن لانعرف عنهم إلا مقتطفات نسمعها من بعض الخطباء الذين لايذكرونا إلا بجانب بسيط من حياتهم، أفليس من المؤسف ان نكون مقصرين فى معرفتهم فى حين ان معرفتهم هذه من شأنها أن تنجينا فى الدنيا والآخرة كما تؤكد على ذلك الروايات.فلنحاول – اذن – ان ندرس حياة النبى (صلى الله عليه وآله) وحياة الأئمة (عليهم السلام) دراسة من منظار جديد يعيننا على ان نعيش وفقا لبصائرهم وسلوكياتهم، ولنعلم ان هذا هو السبيل الوحيد لاحياء الاسلام، ونشره فى ارجاء المعمورة.

النبى محمد وسيلة الرحمة

حقيقة وجود الانسان ونسبته الى هذا الكون لاتحدّد من خلال نظرة محدودة الى حياته وحياة هذا الكون العظيم من حوله، لكن نظرة واقعية تنطلق من أفق علمى ربما تكشف للانسان أنه لايتفاعل إلا مع جزئيات محدودة من هذا الوجود وأن حياته ليست إلا لحظة من عمر الزمن إذ الزمن يمتد ويمتد الى مالا نهاية له فى علمنا وكذلك الى المسافة التى لا نهاية لها فى علمنا، فقبل عالمنا هذا ألف ألف عالم وقبل أبينا آدم على نبينا وعليه السلام ألف الف آدم.ولعل مقارنة نسبية تكشف جانباً من واقع حياة الانسان ووجوده بالنسبة الى الكون والوجود كله. فحين يُسائل الانسان نفسه عن نسبته إلى هذه الارض التى يعيش عليها، بمعنى أنه لو جعل نفسه فى كفّة والارض فى كفة أخرى سيقف على حقيقة أنه ليس إلّا كنسبة حصاة صغيرة الى صحراء مترامية الأطراف وليس إلا كقطرة فى بحر قمقام، ولن يجد نفسه إلا حلقة صغيرة فى سلسلة بنى آدم بل هو بالنسبة الى عمر الدهور والازمان لمحة أو لحظة لا تكاد تذكر.هذه نسبة الانسان الى الارض وذات النسبة هى نسبة الارض الى العناقيد والمجرات المحيطة بها، وحين يريد أحد العلماء ان يقرّب لنا هذا المفهوم ويصور لنا هذه الحقيقة يقول: تصور أنك تدخل مكتبة عظيمة تضمّ مليون كتابٍ وأنت تبحث فيها عن اصغر الكتب حجماً ومن ثمَّ تبحث عن أصغر صفحة وعن أصغر سطر فى تلك الصحفة وعن اصغر كلمة فى ذلك السطر ثمَّ عن أصغر حرف فى تلك الكلمة، فالارض ذلك الحرف بالنسبة الى محتوياتها من الكتب والصفحات والاسطر والحروف. وهذا عالم فلكى آخر حينما يريد أن يحدد لنا العلاقة ويبين لنا النسبة بين حجم الارض وحجم هذا الكون الرحيب يقول: أرضنا هذه وما حولها من كواكب وحتى المنظومة الشمسية هذه جميعها ليست إلا كسمكة من هذه الاسماك الصغيرة التى ترتاد شواطئ البحار وسواحل المحيطات والى الحيتان الموجودة فى هذه البحار، ولكى تتكامل الصورة ويتضح هذا التشبيه وهذه النسبة نقول: إن هذه الشمس العملاقة الكبيرة بدرجة أن الارض لو القيت فيها لكانت ككرة صغيرة ترمى فى ملعب كبير أو كحجارة فى صحراء، شمسنا هذه لها فى هذا الكون مقبرة تدفن فيها، فالله جلّت قدرته جعل فى هذا الفضاء الوسيع مقبرة للشموس، مقبرةً تستوعب كل الشموس حين ينتهى مفعولها، بل حين يشاء الله سبحانه ذلك، حيث تؤخذ وترمى فى هذه المقبرة التى يطلق عليها الحفرة السوداء أو المظلمة (إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ – وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ) (التكوير / ۱–۲) مقبرة لا تمتلئ بالشموس التى ترمى فيها.هذا الخلق العظيم حين يتضح للانسان لابد وأنه سيتصور الجانب الآخر ألا وهى الجنة التى وعد الله عباده المتقين فى الدار الآخرة حيث أن هذا الكون بعظمته ليس بالنسبة للجنة إلا

شيئا يسيراً بسيطاً (وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ) (آل عمران / ۱۳۳) وهذا انما يعنى أن الجنة أوسع من كل هذه السماوات وهذه المجرات وكل الاجرام السماوية التى يعجز الانسان عن تصورها إلا أن يشاء الله تعالى بما يهبه للانسان من سلطان العلم (يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ) (الرحمن / ۳۳)هذا خلق الله جلّت قدرته، ولكن الذى ينبغى لنا هو أن نسأل أنفسنا عن دلالة هذا الخلق العظيم؛ وعلام خلق الله تعالى هذه الكائنات والمخلوقات، إذ لاشك أن لها دلالة على أمر أساسى حساس، ووعينا وادراكنا لهذا الامر هو الذى يشكل حجر الزاوية ويضع لبنة الاساس فى بناء معارفنا وتطوير أفكارنا وكياننا الثقافى، وليس ذلك إلاّ رحمة الله تبارك وتعالى التى بها خلق الشمس والقمر والنجوم وكل المخلوقات فانه سبحانه وتعالى يقول: (وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ) (الاعراف / ۱۵۶).وهذا يعنى أول ما يعنيه أن رحمته تبارك وتعالى واسعة، فكما أن علم الله سبحانه وتعالى نافذ فى كل شىء كذلك هى رحمته أحاطت ووسعت كل شيء، ولعل الواقع المنظور والحقيقة المعلومة بالتفكر العلمى العميق لا تسمح أن نمثل سعة الرحمة الالهية بمثل البحار وأمواج الانوار وما إلى ذلك من المحسوسات المرئية والمتصوّرة فى حدود تفكر الانسان إذ هى أمثلة بسيطة ضعيفة فى المقام إذا ما قورنت بما وسعت رحمة الله تبارك وتعالى، وبتعبير آخر يمكن أن نقول أن هذه الآيات والدلالات كخلق الشمس والقمر والكواكب إن هى إلا رحمة منه تعالى، لكن الرحمة الربانية أوسع وأكبر وأعظم من هذه الآيات كلّها. فالتعبير القرآنى الدقيق يقول: (رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً) (غافر / ۷) ومنه يتجلى محتوى أبعد وأعمق وتبدو فكرة أدق إذ كل شىء لم يكن مخلوقاً أو موجوداً لولا رحمة الله تعالى، لان الله سبحانه هو الرحمن الرحيم، خلق الاشياء برحمته، وهنا لابد من الاشارة إلى فكرة أو بصيرة معينة، وهى أن هذه الرحمة الإلهية لها وسيلتها، فالله عزّ وجلّ عندما أراد أن يبعث النور الى الأرض خلق الشمس وخلق القمر، وجعل الشمس ضياءً والقمر سراجاً منيراً، وحين أراد أن يروى هذه الارض من عطشها بعث بالسحب من أقاصى البحار والمحيطات تحمل المياه، ثم أمر بالرياح المبشرات أن تحمل هذه الملايين من الاطنان من الماء الى أعالى الجو تلك السحب التى قد تبدوا لأوّل وهلة أنها ليست إلاّ قطرات من الماء حملت عبر زجر هذه الرياح لتقطع المسافات الشاسعة وآلاف الكيلو مترات ثم لتهطل على القمم السامقة الشامخة من الجبال وعلى الصحارى والوديان رواءً (وَمِنْ ءَايَاتِهِ أَن يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِن رَّحْمَتِهِ) (الروم / ۴۶)، هذه وما لا يعدّ ولا يحصى مثلها هى وسائل الرحمة الالهية، فحين أراد الله أن يخلق الانسان فى هذه الارض جعل لخلقه الوسيلة اذ جعل له أباً وأمّاً وسيلتين لخلقه ولو شاءت الارادة الالهية أن ينبت الانسان من الارض كما ينبت النبات لكان قد جعل فى الارض الوسيلة لتحقق ذلك، وهو جلّت قدرته حين اراد أن يرزق الانسان من الخيرات جعل فى الارض وسيلة لنمو الاشجار والنباتات بما هيّأه تعالى من ماء وتربة ومزارعين.اذن فلله فى خلقه وسائل ورحمته لها وسائل، فماهى الوسيلة الاساسية المثلى التى خلق الله بها هذا الكون؟ ونحن حين نطرح تساؤلاً عن كيفية حدوث الشمس وتكونها على ماهى عليه الآن، على واحد من علماء الفضاء فانه سيجيب بأدلته الخاصّة بان الشمس كانت مجموعة من غازات مثل الهليوم وغيره ونتيجة جاذبية هذا الكوكب تكثفت هذه الغازات وتكونت الشمس، بل لعل تصور العلماء عن مستقبل المشترى، هذا الكوكب العملاق الذى يدور حوله ستة عشر قمراً او سبعة عشر قمراً؛ بأنه بعد عشرة ملايين أو عشرين مليون سنة أو أكثر أو أقل سيصبح شمساً لما تحدث فيه من التفاعلات والتحولات الذرية التى هى بدورها وسيلة لصيرورته شمساً فى المستقبل، وهذا هو أحد الاحتمالات الهامة التى يطرحها علماء الفضاء، فهم بتعليلاتهم يطرحون الادلة والوسائل والاسباب التى جعل الله تعالى الشمس شمساً والقمر قمراً والأرض أرضاً، بل ويؤكدون بان كل شىء يخلق بوسيلة، ومنه يتبادر الى الذهن التساؤل عن وسيلة أصل الخلقة، وأن الله تعالى لما أراد أن يكون هذا الكون وأن يخلق بوسيلة فماهى تلك الوسيلة إذن؟إرادة الله تبارك وتعالى هى أن يرحمنا، ومشيئته ان يفيض برحمته على هذا الكون وأن يتجلى بأسمائه الحسنى على هذه المخلوقات، فقد شاءت ارادته أن يجعل هذا الخلق وسيلة فخلق نوراً لكنه ربّاه وحسّنه وبلوره ونمّاه فكان وسيلة لخلقة الكائنات، وذلك النور هو نور نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم، نور الرحمة. وحين نقول خلقة الكائنات فلا نعنى خلقة هذه الارض فحسب إذ هى - كما سبق لنا القول - ليست إلا ذلك الحرف الصغير فى المكتبة العظيمة او تلك السمكة

الصغيرة على شاطئ البحر، بل تلك الحصاة فى الصحراء المترامية الأطراف، وانما نعنى مئات المليارات من العناقيد والمجرات التى تضم بدورها المليارات من الاجرام السماوية، ولعل كلمة المليارد تبدو للوهلة الأولى بسيطة لن تعدو عن كونها لفظة لسان فحسب لكن الحقيقة أن المليارد الواحد ربما يستغرق المئات من السنين عدّاً، هذه هى الدنيا، فما بال الانسان بالآخرة والجنة التى هى أعظم وأوسع، كل هذه المخلوقات خلقت بأسماء الله الحسنى. فكيف إذن خلق الله تعالى هذا النور حتى صار رحمة الله الواسعة.هنا لابد وأن يكون الذهن مهيّأً مستعداً لادراك فحوى الرواية عن الامام على بن أبى طالب (عليه السلام)، إذ هكذا روايات يصعب عادة فهمها، لكننا وبما تقدم من التمهيد لعلنا نكون وفقنا لتهيئة المناخ الذهنى لاستيعاب بعضاً من جوانب هذه الرواية عن الخصال والمعانى باسنادٍ الى جعفر بن محمد الصادق (عليه السلام) عن أبيه عن جدّه على بن أبى طالب صلوات الله عليهم قال ": ان الله خلق نور محمد صلى الله عليه وآله قبل خلق السموات والأرض والعرش والكرسى واللوح والقلم والجنة والنار "... أما ماهو اللوح وماهو الكرسى والعرش فهذا بحث آخر لعلنا نأتى عليه مستقبلاً إن شاء الله.. "، وقبل أن خلق آدم ونوحاً وابراهيم واسماعيل واسحاق ويعقوب وموسى وعيسى وداود وسليمان، وكل من قال الله عزّ وجلّ: (وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحاً هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذلِكَ نَجْزِى الْمُحْسِنِينَ - وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى وَعِيسَى وإِلْيَاسَ كُلٌّ مِنَ الصَّالِحِينَ - وإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطاً وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ - وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) (الانعام / ۸۴ - ۸۷) فكان خلق نور محمد (صلى الله عليه وآله) قبل ذلك باربعمئة ألف واربع وعشرين سنة قبل خلق الانبياء كلهم وقبل الجنة والنار والعرش والكرسى واللوح والقلم "، وخلق الله معه اثنى عشر حجابا " ولعل هذه الحجب - والله أعلم - هى درجات يرتقى النبى (صلى الله عليه وآله) عبرها " حجاب القدرة وحجاب العظمة وحجاب المنّة وحجاب الرحمة وحجاب السعادة وحجاب الكرامة وحجاب المنزلة وحجاب الهداية وحجاب النبوّة وحجاب الرفقة وحجاب الهيبة وحجاب الشفاعة، ثم حبس نور محمد (صلى الله عليه وآله) فى حجاب القدرة اثنتى عشر ألف سنة " كان النبى (صلى الله عليه وآله) نوراً فى هذه السنين المتطاولة "يقول: سبحان ربى الأعلى " أى النور فى حجاب القدر كان يسبح طول هذه السنين يقترب فى كل مرة من رب العزّة " وفى حجاب العظمة أحد عشر ألف سنة وهو يقول: سبحان عالم السرّ، وفى حجاب المنّة عشرة آلاف سنة وهو يقول: سبحان من هو قائم لا يلهو وفى حجاب الرحمة تسعة آلاف سنة وهو يقول: سبحان الرفيع الأعلى، وفى حجاب السعادة ثمانية آلاف سنة وهو يقول: سبحان من هو دائم لا يسهو، وفى حجاب الكرامة سبعة آلاف سنة وهو يقول: سبحان من هو غنى لا يفتقر، وفى حجاب المنزلة ستة آلاف سنة وهو يقول: سبحان ربى العلى الكريم، وفى حجاب الهداية خمسة آلاف سنة وهو يقول: سبحان ذى العرش العظيم، وفى حجاب النبوّة أربعة آلاف سنة وهو يقول: سبحان ربّ العزة عما يصفون، وفى حجاب الرقعة ثلاثة آلاف سنة وهو يقول: سبحان ذى الملك والملكوت، وفى حجاب الهيبة ألفى سنة وهو يقول: سبحان الله وبحمده، وفى حجاب الشفاعة ألف سنة وهو يقول: سبحان ربى العظيم وبحمده، ثم أظهره عز وجل فكان على ساقى العرش سبعة آلاف سنة الى أن وضعه الله سبحانه فى صلب آدم " فكل حجاب من هذه الحجب هو اسم من اسماء الله تبارك وتعالى وكل حجاب من هذه الحجب درجة من درجات القرب الى الله سبحانه وتعالى، والنبى (صلى الله عليه وآله) فى كل حجاب من هذه الحجب وفى كل درجة من هذه الدرجات يسبح الله وحده، يوحّد الله عزّ وجلّ يسبح الله وينزهه، فكان النبى (صلى الله عليه وآله) أول العابدين فى ذلك الكون. فاذا كان هناك سماء مبنية وأرض مدحية أو كان فلك يدور وبحر يموج ويمور ومياه تجرى فى هذا العالم كالنيل والفرات وسيحون وجيحون والدانوب والمسبّى وكل البحار والمحيطات كلها عبر قناة نبى الرحمة إذ هو الوسيلة للرحمة الإلهية، الوسيلة الى كل الكائنات، الى الحور العين، الى الجنة والملائكة جبرئيل وميكائيل وعزرائيل واسرافيل (عليهم السلام)، بل والى اللوح والقلم واكثر من ذلك الى الروح وهو أعظم الملائكة. ونحن ايضاً إذا ما أردنا نعمة أو رحمة، إذا أردنا فضيلة أو تقوى حب او ود، إذا أردنا كرامة وتقدم أو قدرة وهيبة انما ذلك بوسيلة الرحمة بنبى الرحمة صلوات الله عليه وعلى آله. وهذه كلها حجب النور أو بحار النور كما فى رواية أخرى، إذ كلها أنوار، فالكرامة نور والهيبة نور والقدرة نور والعزة نور

والرحمة نور والشفاعة نور بدورها أيضاً وتلك هی اسماء الله الحسنی التی کوّنت النبی (صلی الله علیه وآله)، فلیس لطالب واحد من هذه الانوار إلا أن یلتمسه عن طریق النبی محمد (صلی الله علیه وآله) نبی الرحمة ووسیلتها وعن طریق أهل بیته الأطهار صلوات الله علیهم أجمعین.هذا النور الالهی قسّمه الله تعالی الی ثلاثة أقسام، قسم هو نور النبی (صلی الله علیه وآله) وقسم نور الصدیقة الکبری سلام الله علیها والقسم الثالث نور الامام علی (علیه السلام) والأئمة علیهم السلام، ولاریب أن قبساً وومضة من هذا النور کان نصیب المؤمنین فانتشر علیهم، ودلیله الایمان وحب النبی (صلی الله علیه وآله) وأهل بیته الطاهرین صلوات الله علیهم أجمعین وأیضاً هذا الالتزام من المؤمنین بولایتهم بحضور المجالس المعقودة لذکرهم، إذ هذه المجالس روضة من ریاض الجنة ومنهلاً بین یدی الانسان یروی منه ضمأه وعطشه ولیس الغرض منها مجرد الحضور البدنی والشرود الذهنی عن نورها بمغریات الحیاة ومشاکلها والخروج منها صفر الیدین، فالمجالس المعقودة لذکر فاطمة الزهراء (سلام الله علیها) ولذکر الحسین والأئمة (علیهم السلام) انما هی البساتین التی یجنی منها الانسان ما یلذ له من الثمار وما تصفو به نفسه وتکتمل شخصیّته بتکامل معارفه وبالتالی تغدو سلّماً یرتقی به الی المراتب العلیا، لذا فالحق أن یقال أن المؤمن لایجب أن یکتفی بهذه القطرات من الدموع، وإن کانت هذه الدموع تطفئ ودیاناً من نار جهنم إلا أن الدموع المصحوبة بالمعرفة والبصیرة المستنیرة بالنور النبوی العظیم هی التی تأخذ بید المؤمن وستکون وسیلة یجتاز بها الحجب وبالتالی الحصول علی وسیلة الرحمة، ومن هنا لابد للانسان المؤمن أن یکمل نوره بنور ولایته فبها تقبل الطاعات والعبادات، فکم من صلاة مرفوعة وکم من صلاة مدفوعة وکم منها مقبول وکم منها غیر مقبول، ذلک مرتبط ارتباطاً وثیقاً لاینفصم بمقدار النور وبمقدار الولایة وبمقدار التسلیم لله تعالی. فصلاة رکعتین یؤدیها الانسان لاتستغرق من الزمن إلّا دقائق هی نفسها الدقائق التی تستغرقها صلاة امام المتقین علی أمیر المؤمنین (علیه السلام)، لکن الصلاتین فی میزان الاعمال تختلفا للاختلاف الشاسع فی مدی المعرفة ومستوی التسلیم لله الواحد الأحد، بل وهذه المعرفة وهذا التسلیم لا یتمّ إلا بآیات الله تبارک وتعالی وبأسمائه ومن أسمائه بنوره، وقد تبیّن لکل ذی لب أن الاسماء الحسنی هم أهل البیت الطاهرین صلوات الله علیهم والولاء لهم، والتمسک بنورهم الذی یزیدنا نوراً ومعرفة بهم وتسلیماً لهم وایماناً وتصدیقاً بکلماتهم.وصلی الله علی سیدنا محمد وآله الطیبین الطاهرین.

النبی الشاهد

اشاره

قال تعالی – فی وصف النبی (صلی الله علیه وآله) والثناء علیه: –(الَّذِینَ یُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ الله وَیَخْشَوْنَهُ وَلَا یَخْشَوْنَ أَحَداً اِلَّا الله وَکَفَی بِالله حَسِیباً – مَا کَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِن رِّجَالِکُمْ وَلَکِن رَّسُولَ الله وَخَاتَمَ النَّبِیِّینَ وَکَانَ الله بِکُلِّ شَیْءٍ عَلِیماً – یَآ أَیُّهَا الَّذِینَ ءَامَنُوا اذْکُرُوا الله ذِکْراً کَثِیراً – وَسَبِّحُوهُ بُکْرَةً وَأَصِیلًا – هُوَ الَّذِی یُصَلِّی عَلَیْکُمْ وَمَلَآئِکَتُهُ لِیُخْرِجَکُم مِنَ الظُّلُمَاتِ اِلَی النُّورِ وَکَانَ بِالْمُؤْمِنِینَ رَحِیماً – تَحِیَّتُهُمْ یَوْمَ یَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْراً کَرِیماً – یَآ أَیُّهَا النَّبِیُّ اِنَّآ أَرْسَلْنَاکَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِیراً – وَدَاعِیاً اِلَی الله بِاِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُّنِیراً – وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِینَ بِاَنَّ لَهُم مِّنَ الله فَضْلًا کَبِیراً). (الاحزاب / ۳۹ – ۴۷)یصف القرآن الکریم النبی الأعظم (صلی الله علیه وآله) سیدنا وشفیعنا وقائد مسرتنا محمد بن عبد الله (صلی الله علیه وآله) بصفات کریمة شتی؛ فهو رحمة للعالمین، وهو مبشر ونذیر، وسراج منیر، ورسول الی البشریة کافة.

الشهادة فی الطلیعة

والصفة التی ارید ان اتحدث عنها فی هذا الفصل هی صفة " الشهادة، " ففی اکثر من موضع یؤکد القرآن الکریم علی ان النبی (صلی الله علیه وآله) شاهد: (یَآ أَیُّهَا النَّبِیُّ اِنَّآ أَرْسَلْنَاکَ شَاهِداً) (الاحزاب / ۴۵).بل ان هذه الصفة تأتی فی بعض الاحیان فی طلیعة

الصفات الذی یثبتها الخالق – تعالی – للنبی (صلی الله علیه وآله) کما لاحظنا فی الآیة السابقة.ولقد اخترت هذه الصفة لکونها صفة مشترکة بین الرسول وبین من یتبعه من المؤمنین؛ فالنبی (صلی الله علیه وآله) شاهد علی الأمة، والأمة الاسلامیة المؤمنة – بدورها – شاهدة علی الامم الاخری.وعلی هذا فان (الشهادة) تمثل کلمة ینبغی ان نقف عندها طویلا نتدبر فیها لانها الجسر الممتد بیننا وبین رسولنا، وبیننا وبین قائدنا، فماذا یعنی هذا المصطلح، وماهی ابعاده؟قبل ان نبین معنی هذه الصفة الکریمة فی حیاة الرسول (صلیالله علیه وآله) – أری – من الضروری ان امهد لذلک بمقدمة تسهل عملیة فهم مغزی هذا المصطلح:من المعلوم ان الانسان یمثل وجوداً لیس کسائر الوجودات؛ فآفاقه لاتحد، وحیاته ممتدة من الناحیتین؛ الزمانیة والمکانیة، وعلی الواحد منا ان یعلم فی هذا المجال انه کان قبل ان یهبط علی هذه الأرض فی صلب ابیه آدم فی الجنة، والذی کان هو وزوجه حواء ضیفین کریمین علی ربهما فی مضیف الله – سبحانه وتعالی – المتمثل فی الجنة واکرم بها من مضیف...وقبل ان یکونا کذلک کانت البشریة فی عالم الذر، وقبل عالم الذر کانت فی عالم الاشباح حیث خلق الله – تعالی – الارواح قبل الابدان بألفی عام لا یدری هل هی من اعوام الدنیا ام الآخرة.ومن جهة أخری فبعد حیاتنا القصیرة هذه فی الدنیا ستکون لنا حیاة ممتدة فی عالم البرزخ الذی یشیر الیه – تعالی – فی قوله: (وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَی یَوْمِ یُبْعَثُونَ) (المؤمنون / ۱۰۰).وبعد هذا العالم سنمثل للحساب فی یوم القیامة لمدة خمسین الف عام، ونحن لانعلم هل سنبقی فی القبر لعشرات السنین ام لمئات ام لآلاف او ملایین السنین لان التاریخ الدقیق لقیام الساعة لایعلمه إلاّ الله – عز وجل – لقوله: (یَسْئَلُونَکَ عَنِ السَّاعَةِ اَیَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّی لا یُجَلِّیهَا لِوَقْتِهَآ إِلاَّ هُوَ ثَقُلَتْ فِی السَّماوَاتِ وَالاَرْضِ لاَ تَأْتِیکُمْ إِلاَّ بَغْتَةً یَسْئَلُونَکَ کَاَنَّکَ حَفِیٌّ عَنْهَا) (الاعراف/۱۸۷).فالله هو وحده الذی یمتلک علم الساعة، فلا یجلیها لوقتها إلا هو..

خلود لا متناه

وبعد ان تمر الخمسون الف عام فی یوم القیامة یأتی الخلود اللامتناهی حیث الزمن المطلق، وحیث یقف التفکیر عاجزاً کلیلاً عن اکتناه معنی الخلود، فهل یستطیع الواحد منا ان یعرف الخلود وان یقیسه حتی لو کانت لدیه اضخم الکومبیوترات وأکثرها دقة؟!واما عن العمق المکانی فیکفیک ان تعرف انک جزء من ارض هی جزء من منظومة، والمنظومة بدورها هی جزء من ملایین المجرات التی لا یعرف الانسان عنها شیئا!تری ماذا یعنی قول الله – عز وجل – فی القرآن الکریم عندما یقول عن رسوله الکریم: (وَمَآ أَرْسَلْنَاکَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِینَ) (الانبیاء / ۱۰۷).فماهو العالمون؟ انه عالم الوجود بما فیه من ملایین المنظومات والمجرات، ورسول الله (صلی الله علیه وآله) جاء رحمة لهذه العوالم کلها، فحدود الانسان – اذن – لا تنتهی.

مخزن طاقات هائل

وإذا ما غضضنا النظر عن هذا الحساب التجریدی الفلسفی، وقسنا الأمور بمقاییس مادیة محدودة کما تعودت علی ذلک اذهاننا، رأینا ان الانسان یمتلک من الطاقات والقدرات مالا یمتلکه أی کائن آخر؛ فهو یستطیع ان یصبر علی الحر والبرد اکثر من أی حیوان آخر، ویستطیع ان یعدو اسرع من الغزلان والفهود، کما ان هذا الانسان الذی یبدو بسیطا استطاع الآن ان یصنع اسلحة تعمل بأشعة اللیزر وبامکانها ان تفنی الکرة الأرضیة، کما وبعث مرکباته الی الکواکب الأخری ومن جملتها القمر، وهکذا فقد دخل فی أعماق الفضاء، وهزم حاجز المسافات...

الشیطان آفة الانسان

ومع کل ذلک، ومع وجود هذه القدرات الخارقة فقد سلط علی هذا الانسان الشیطان الذی یقیم من حوله جدرانا قد لا یستطیع ان یخترقها، تری ماهو هذا الجدار؟ وماهی تلک الزنزانة التی یعتقل الشیطان الانسان فیها فیوحی له بالیأس، وضعف الارادة وعدم الثقة

بالنفس؟ فالشيطان يوحي للانسان بأنه كائن حقير، فيمنعه بذلك من التقدم، والانطلاق، ومن ان يجعل من نفسه انساناً كاملاً.هل فكر الواحد منا ولو للحظات لماذا لا يصلي صلاة الليل، ولايكون كأبي ذر، وسلمان، وعمار وغيرهم من القمم الشاهقة في البطولة والانسانية، ولماذا لا يتبع سيرة رسول الله (صلى الله عليه وآله)؟ان هذه تساؤلات يستطيع كل واحد منا ان يوجهها الى نفسه، فلنفكر ولنتدبر في نفوسنا لكي نعرف نقاط الضعف فيها، والثغرات التي ينفذ من خلالها الشيطان اليها، فالشيطان يخيفك، وعندما تريد على سبيل المثال ان تقوم الليل لتبتهل الى الله – سبحانه وتعالى – فانه يوحي اليك بانك بحاجة الى الراحة والنوم لان امامك في الغد مشاكل، واعمالاً، ودراسة...، وهكذا الحال عندما تريد ان تقوم بعمل جبار كأن تتحدى الطغاة وضغوطهم، فانه يثبط من عزيمتك من خلال اخافتك...وعندما تريد ان تصبح انسانا تقيا طاهرا فان الشيطان يقف لك بالمرصاد ايضا، فيوحي لك بان الناس جميعهم يكذبون ويحتالون، فلماذا لاتكون مثلهم لكي لاتأكلك الذئاب؟

اليأس سلاح شيطاني

ان السلاح الفاعل للشيطان هو ان يبعث اليأس في نفسك، ويسجنك في زنزانة استصغار واحتقار قدراتك وطاقاتك، فيوحي لك بانك لاتستطيع ان تتبع الشخصيات المثالية العظيمة... تريكيف نستطيع ان نقاوم هذا السلاح ونبطل مفعوله؟ان البشرية – مذ ظهرت – كانت تكرم الابطال، وتقدس البطولات، لان الابطال هم الذين يخترقون حاجز اليأس، ويثبتون للناس ان باستطاعتهم ان يبلغوا ما يريدونه، وهذا هو السبب الذي دفع البشرية الى ان تكرم وتقدر النوابغ، والعلماء الذين قدموا خدمات جليلة لها وذلك لانهم استطاعوا اختراق الحواجز الشيطانية.ان الله – جلت قدرته – اراد ان يمنح للبشرية القدرة على تحطيم حواجز اليأس والضعف والمسكنة والحقارة، فبعث رسوله محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله)، فاذا به يصبح شاهدا بشهادة قوله – تعالى –: (يَآ أَيُّهَا النَّبِيُّ اِنَّآ أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً). (الاحزاب / ۴۵)

ماهي شهادة النبي؟

ترى ماهي شهادة النبي (صلى الله عليه وآله)؟ ان شهادته هذه تتمثل في انه نهض لوحده ضد الجاهلية التي اطبقت على الارض، فالاصنام كانت تعبد حتى في بيت الله الحرام، فكان الناس يعيشون في الظلم. الامبراطورية الفارسية من جهة، واليونانية الرومانية من جهة أخرى، والجهل والمرض والفقر مخيم في كل مكان... وفي هذه الفترة بالذات بعث الله – عز وجل – النبي الأعظم (صلى الله عليه وآله) لا لكي يحطم الاصنام في الجزيرة العربية فحسب، وانما لكي يؤسس دولة اسلامية تكون القدوة للدول الاسلامية الاخرى في سائر العصور، وليكون رحمة للعالمين، ويحرك البشرية باتجاه الحضارة والرقي والتكامل، لكي يكون دين الله هو السائد على الدين كله ولو كره المشركون.وهكذا قدم رسول الله (صلى الله عليه وآله) وكل جزء من اجزاء حياته شاهد على البشرية، وكل لحظة من لحظات عمره الشريف المبارك كانت سراجا منيرا للبشرية، ورحمة لها، وعندما يعود الى مكة بعد هجرته الى المدينة وتأسيسه للمجتمع الاسلامي فيها يقول لأهلها وقلبه مفعم بالرحمة، والحب، والتسامح ": اذهبوا فأنتم الطلقاء [" ۹] رغم انهم قاوموه، واخرجوه من بلده، وفرضوا عليه ذلك الحصار الجائر الذي اودى بحياة اثنين من حماته، ومن اعز الناس عليه ألا وهما؛ زوجته خديجة الكبرى، وعمه ابو طالب...

اخلاق استوعبت البشرية

هذا الخلق العظيم، وهذه الرحمة التي استوعبت البشرية كلها،كانت تجمع الى جانبها الشجاعة الفائقة، والبطولة العديمة النظير الى درجة ان الامام علياً (عليه السلام) الذي يضرب به المثل في الشجاعة كان يقول ": كنا اذا احمر البأس اتقينا برسول الله (صلى الله عليه

وآله) فلم يكن أحد منا أقرب الى العدو منه. [" ۱۰] .وعندما يفقد رسول الله (صلى الله عليه وآله) حاميه المؤمن أبا طالب (عليه السلام)، يخرج (صلى الله عليه وآله) باسلامه من مكة الى الطائف لعله يجد فى هذه المنطقة من يحميه، ويصطحب ابنه المتبنى زيد بن حارثه، وإذا بأهالى هذه المدينة يستقبلونه أسوأ استقبال، فيغرون الاطفال والصبيان به.ومع كل ذلك فقد... " قام (عليه السلام) عشر سنين على أطراف اصابعه حتى تورمت قدماه واصفر وجهه يقوم الليل أجمع حتى عوتب فى ذلك فقال الله عز وجل (طه ما أنزلنا عليك القرآن لتشقى) بل لتسعد به، ولقد كان يبكى حتى يغشى عليه فقيل له يا رسول الله أليس الله عز وجل قد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال بلى أفلا أكون عبداً شكوراً ["... ۱۱] فيضرب بذلك المثل الأعلى فى الخلق العظيم الى درجة ان رجلا يأخذ بتلابيبه فى احدى المرات، ويحاول خنقه، الا ان الرسول (صلى الله عليه وآله)يضحك فى وجهه، ويصلحه.وفى مرة أخرى يشهر رجل آخر من المشركين السيف فى وجهه الكريم (صلى الله عليه وآله) قائلا له: من ينقذك منى؟ ويحاول ان يضربه فاذا بقدمه تزل، فيقع على الأرض، فيأخذ رسول الله (صلى الله عليه وآله) السيف، ويقف عليه، ويقول للرجل المشرك: والآن من ينقذك منى؟ فيقول الرجل: حلمك يا محمد، فيعفو عنه، رغم ان هذا الرجل كان قائدا للجيش المحارب للرسول (صلى الله عليه وآله)، وببركة هذا العفو يدخل هذا القائد هو وجيشه الاسلام من دون ان تراق أى قطرة دم.ومن خلقه العظيم ايضاً انه كان يكرم ابنة حاتم الطائى لان اباها كان كريما، وكان يقول لها ": لو ان اباك كان مسلماً لاستغفرنا له، وترحمنا عليه." ومن عظيم سجاياه ايضاً انه كان يدعو لقومه قائلًا: "اللهم اهد قومى فانهم لايعلمون [" ۱۲] رغم انهم كانوا يؤذونه، ويصبون عليه وعلى اصحابه الويلات، والعذاب.كل ذلك لكى يصبح الرسول (صلى الله عليه وآله) شاهداً علينا، ويكون قدوة لنا كما يقول - تعالى -: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ الله أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا الله وَالْيَوْمَ الأَخِرَ) (الاحزاب / ۲۱).وهذه الشخصية العظيمة انما تكون قدوة لنا إذا سرنا على خطها، وكنا فى مستوى التأسى والاقتداء بها.

قدوة المؤمنين

اشاره

لقد خلق الله سبحانه وتعالى الانسان ليكون اشرف واكمل واسمى خليقته على هذه البسيطة، بل من اجل ان يستضيفه الى دار الخلد والنعيم.. الى الجنة.. كما سخر له كافة الكائنات والمخلوقات الأخرى فى خدمته ومن اجله، حتى جعل الملائكة التى نزهت من كافة الفواحش والذنوب فى خدمة هذا الانسان، بل فوض تعالى الانسان قيادة وخلافة الارض مالم يفوض اى من مخلوقاته.. (إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً) (البقرة / ۳۰).. لماذا؟ هل لان هذا الانسان اضخم واكبر حجما وطولا من هذه الجبال والكواكب والمعادن و..؟ كلا..ان الله سبحانه فعل ذلك بعد ما زود الانسان بنور العقل وقوة الارادة، ومنحه قدرة الاختبار والانتخاب؛ ان شاء اختار سبيل الهدى، وان شاء اختار طريق الضلال.. (إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِراً وَإِمَّا كَفُوراً) (الانسان / ۳).لذا حينما يتجاوز هذا الانسان بارادته العقبة ويقتحمها ويتسامى، فانه يستحق العظمة، ومن يباهى ربنا ملائكته به.. وما ادراك ما الملائكة؟

الانسان اسمى من الملائكة

انهم بزمام ايديهم ادارة حركة الرياح و الشمس و الارض و السحاب بتوكيل وبقدرة البارى عز وجل، بالرغم من ذلك فان الله يجل شأن عبده الانسان ويفضله على ملائكته.بلى.. ان ذلك العبد الذى ارتخت جوارحه فى جوف الليل، وفى تلك الليلة الباردة التى سكنت فيها الانفاس وهام ظلام الليل على اهله، وهو يرقد على فراشه الوثير، ثم تدغدغه ساعة اللقاء والوصل بمقام العزة والربوبية فينتزع نفسه قبل اذان الفجر من فراشه ليتوضأ، ثم ليستقبل القبلة مناجياً المولى القوى العزيز يطلب منه العون والقرب والكمال.. انه

یرکع ویسجد ویخشع قلبه خوفاً من غضب الله، ورجاءاً فی ثوابه وجزیل آلاءه.. هذا الانسان لایحق للملائکة ان تشکو الله تفضیله علیها، وذلک لان هذا الانسان المؤمن قد استجمع کافة عوامل الضعف فی وجوده المادی وجسده النحیف، الا انه قوی بارادته. فلهذا یقتحم کافة عقبات الضعف والهوان المادی بتوکله علی الله القوی العزیز لیدخل فی حصن الرب، ورياض الرحمة الربانية.

سباق التکامل

ان الملائکة لم تعان من عوامل الضعف والهوی، حتی تتسلق مدارج الکمال والرقی والقرب الالهی خطوة.. خطوة، غیر ان الانسان یصارع بارادته کل یوم بل کل لحظة کافة عوامل الضعف الموضوعة امام مسیرته فی هذه الحیاة کیما یحرز علی قصب السبق رجاءاً وطمعاً فی رحمة الله اللامتناهیة.اذن؛ ان قصة مسیرة الانسان علی وجه هذا الکوکب الارضی، هی قصة صراع الارادة وسباق التکامل والرقی البشری.. ففی هذه المسیرة ینبغی وجود بعض القدوات والنماذج الطیبة التی تستدعی الاقتداء بها والوصول الی سلالم الکمالات الانسانیة، وذلک لما تتمتع به هذه القدوات من صفات انسانیة عالیة تستحق التأمل والاعتبار.ومن هنا تتجلی احدی جوانب مهام الانبیاء والرسل والأئمة المعصومین (علیهم السلام)، کیما یکونوا قدوات واقعیة ومیدانیة ونماذج متحرکة وحیة، وترجمان لفحوی التعالیم والقیم الالهیة امام انظار الناس.

القدوة.. ضرورة

ان هؤلاء الانبیاء العظام والقدوات المبارکة عرفوا قدر حیاتهم ووجودهم فتسابقوا صوب نعیم الباری عز وجل، فکانوا ینظرون الی الحیاة باعتبارها جسرا وطریقا للوصول الی الجنة، بل کانوا یستشعرون الجنة فی الدنیا، وکذلک عذاب النار وهم یعیشون حیاة الدنیا.من هنا یتساءل المرء ماالذی حدی بهؤلاء القدوات العظام الی ان یقضوا کل لحظة من لحظات حیاتهم فی طاعة وذکر الله سواء فی نهارهم او لیلهم؟ لقد کان نهارهم مجالا لهدایة الناس ووعظهم وادارتهم، والدفاع عن حریم القیم الالهیة والوقوف امام الاعداء، ولیلهم کان فسحة طیبة لمراجعة الذات والنفس والتهجد لله سبحانه.. انهم استشعروا لذید نعیم الجنة ومدارج الآخرة، فأصبحت حیاتهم کلها اخرویة.لقد کانوا علی یقین؛ انما ثمن هذا الجسد وهذه الروح هو الجنة، لقد عرفوا عظمة الجنة وبیوتها المنیفة التی اعدت للمؤمنین والصالحین.. تلک البیوت التی یمکن لابسط الناس ایمانا ان یقری ویستضیف جمیع الخلائق فی بیته الذی حباها الله جزاءاً علی عمله الصالح فی الدنیا.ان بیتاً واحداً من بیوت الجنة تحوی علی بساتین خضراء وموائدمفروشة وجواری وغلمان مالم یحصی عددهم الا الله، فمن یرغب ان یطلق هذا النعیم الخالد فی قبالة لذائذ زائلة فی الدنیا یتبعها نار جهنم؟.. نار جهنم وبیوتها الضیقة التی لا تتسع الا علی قدر مساحة اکوام من لحوم وعظام البشر المتراکمة، وهی تستغیث وتختنق من شدة العذاب!لذا یفترض علینا ان نجعل من حیاة کافة انبیاء الله والأئمة المعصومین (علیهم السلام) وخاصة نبینا الاکرم محمد (صلی الله علیه وآله) قدوة فی حیاتنا، ونجعل مسیرته خریطة متکاملة امامنا ونسعی من اجل ان نحذو حذوه ونعمل بهداه، کما فعل الامام علی أمیر المؤمنین (علیه السلام) فی اتباعه الکامل لحیاة الرسول (صلی الله علیه وآله)، فکان یتبعه کما یتبع الفصیل لأمه.

النبی الأکرم خیر قدوة

ان هذا الرسول الاکرم (صلی الله علیه وآله) الذی جعله الباری افضل خلقه وخاتم انبیائه، واعز خلق من مخلوقاته حتی قال تعالی فی حدیثه القدسی " لولاک لما خلقت الأفلاک [" ۱۳] .نراه یتعب ویرهق نفسه فی جوف اللیل رجاءا فی الثواب والتقرب الیه. فقد کان (صلی الله علیه وآله) یقف متهجداً فی اللیل حتی تتورم قدماه، وکان (صلی الله علیه وآله) له حبل یتعلق به حتی لایقع من شدة التعب، وإذا جاع (صلی الله علیه وآله) یشد حجر المجاعة علی بطنه , وهو مالک للمال ولکن ینفقه فی سبیل الله.. هذا ناهیک عن عظیم خلقه

وشدة حلمه وصبره على اذى قومه له.حقا نتساءل: اذا كان الرسول العظيم يفعل هكذا مع جسده طاعة لله، فماذا سوف يكون حالى وحالك انت ايها المؤمن؟!ان المؤمن الذى تشغله كل ليلة برامج التلفزيون والبث الفضائى، ثم يهوى بعدها الى فراشه، حتى يتحول - حسب تعبير الأئمة (عليهم السلام) - الى " جيفة، " فهذا حاله حال الغافلين.كثيراً من الناس يشكون من الاحلام المزعجة التى تتعقبهم بالليل.. فهذا يرى الشرطة تطارده، وذاك يحلم بالبيع والشراء والخسارة، وذاك يرى الدائنين يهجمون عليه ليخنقوه.. فالسبب لذلك يرجع الى ان هؤلاء يعيشون على مدار اليوم هموم المعيشة والدنيا فقط.لابد ان نجعل للقرآن وتلاوته والصلاة وذكر الله مساحة تتسع لها اوقاتنا التى تذهب كل يوم دون رجعة.. لابد ان نروح انفسنا بتلاوة ذكر الله قبل ان ننام، ولابد ان نعيش الآخرة والموت كل يوم.. ان نزور المقابر ونترقب مصيرنا الذى سوف نؤوب اليه.. اليس من الاعمال المستحبة ان يعد ويحفر الانسان قبره قبل موته ثم ينام فيه مستعداً لساعة الأجل الحاسمة؟لقد كان الامام زين العابدين ذلك الامام الزاهد العابد كما يقول هو (عليه السلام) يدرس حياة الرسول (صلى الله عليه وآله)، بل يحفظ مغازيه (صلى الله عليه وآله) وسيرته. فاذا كانت حياة الرسول عامة هى جملة دروس لامامنا السجاد (عليه السلام)، فكيف لاتكون منهجاً وخريطة عمل لنا جميعاً؟لقد قرأت فى كتاب (بحار الانوار) رواية حول كيفية شرب الماء عند النبى (صلى الله عليه وآله) فلقد كان (صلى الله عليه وآله) يطبق ثلاثين ادبا لدى شربه للماء.. وما هذه الامراض التى تصيب المعدة والكبد والكلية والاثنى عشرى و.. الا بسبب عدم مراعاتنا لاداب الاسلام فى الأكل والشرب والنوم و.. ان انحرافاتنا الحياتية تكمن فى حدوث الفجوة والفاصلة بيننا وبين رسولنا الاكرم والائمة المعصومين (عليهم السلام) فانقطعنا عن فيض نورهم وهداهم، كما ينطفأ المصباح عندما ينقطع التيار الكهربائى عنه.لماذا الغاء دور القدوة؟ان جملة من الناس عندما تسألهم لماذا لا تقتدوا بالرسول الاكرم والأئمة (عليهم السلام) يجيبك قائلا: لايمكن لنا ان نكون مثلهم متناسين قوله تعالى: (قُلْ إِنَّمَآ أَنَاْ بَشَرٌ مِثْلُكُمْ) (الكهف / ۱۱۰).ثم كيف لايمكن لنا اتباعهم والاقتداء بسيرتهم وقد جعلهم الله لنا اسوة حسنة، وكيف يقول الامام على (عليه السلام "): الا وان لكل مأموم إماماً يقتدى به ويستضىء بنور علمه؟ [" ۱۴] .واذا كان لنا عذر او حجة (معصومية) هؤلاء الرسل والائمة (عليهم السلام) فما بالنا بالصديقة زينب وسيدنا العباس وعلى الأكبر والقاسم بن الحسن، وكذلك اصحاب الرسول والأئمة (عليهم السلام) كأبى ذر والمقداد وسلمان وحبيب ابن مظاهر الاسدى.. وماذا نقول فى علماء الدين العظام الذين ينتهجون سيرة الحق والتقوى؟ لماذا يصرّ البعض على الغاء دور القدوة فى الحياة؟! وفيما اذا رأينا قائداً حياً ينفع الأمة (قد لا نؤمن به شخصياً مثلا).. نضع امامه شتى العراقيل ونتفرق عنه.. وقس على ذلك الشهداء الابرار الذين ضحوا بأنفسهم الغالية فى هذا الطريق المبارك.

شروط الاقتداء

انظروا الى الطريقة الجميلة التى يتحدث عنها ربنا فى سورة الاحزاب حيث يبدأ بذكر النبى (صلى الله عليه وآله) اولا ثم ينتهى بذكر المجاهدين والشهداء.. يقول ربنا: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الأَخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً) (الأحزاب / ۲۱).اى ان هناك ثلاثة شروط للاقتداء بالرسول حسبما يضعها القرآن الكريم فى هذه الآية المباركة:الاول والثانى: ان نرجو الله واليوم الآخر ونعتقد بأنها حق وليست بكذب، وان هذه الدنيا ليست نهاية حياتنا ومصيرنا، بل هى بداية مسيرتنا الى دار الخلد.الثالث ": وذكر الله كثيراً؛ " يعنى ان لن نغفل عن ذكر الله سواء فى السوق والتجارة او فى ساحة الحرب. ويضرب القرآن مثلا فى هذا الصدد فيقول: (وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلاَّ إِيمَاناً وَتَسْلِيماً) (الاحزاب / ۲۲) اى الايمان بالله والتسليم للقيادة الربانية.ان المؤمنين لا يلومون الرسول على شدة الوطيس وزحمة المشاكل، بل يسارعون الى مساندة القيادة ودعمها. فالذى يريد ان يتقدم يجب ان يعطى ويستقيم. ثم يقول ربنا: (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلا) (الاحزاب / ۲۳).فالرجل الذى يرزق الشهادة او الذى يترقب وينتظر الشهادة هما على حد سواء.. (لِيَجْزِىَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً

رَّحِيماً) (الاحزاب / ۲۴).

الصلاة على النبى و آله المعانى والدلالات

اشاره

من أعظم التحف والهدايا والكرامات التى فضّل بها ربنا - سبحانه وتعالى - المسلمين كرامة الصلاة على محمد (صلى الله عليه وآله) وآله الأطهار.فما هى حقيقة هذه الصلاة، ولماذا أمرنا أن نصلّى على نبيّنا (صلى الله عليه وآله) كلّما ذكر اسمه وخصوصاً فى المواسم والمناسبات المباركة؟

المعانى المختلفة للصلاة

للاجابة على هذا السؤال نقول: ان الصلاة - لغةً - هى التعطّف، والترؤّف، والتعبير عن الحب، والحنان، والعطف لدى الانسان.. وعندما تكون الصلاة من الرب للعبد، فان هذا يعنى ان الله - عز وجل - يعطف، ويترحّم، ويتحنّن على عبده. وعندما تكون الصلاة من الملائكة على العباد المؤمنين، فانّ هذا يعنى ان الملائكة تستغفر، وتدعو لهم، و تسدّدهم، وتزكيهم، وتعصمهم من الاخطاء. وعندما تكون الصلاة من العبد لربّه، فان هذه الصلاة تعنى الدعاء، والتضرّع والتبتّل.ان كلمة الصلاة تعنى فى ذاتها معنىً واحداً، إلا انّ هذه التطبيقات والتأويلات المختلفة تطرأ عليها بحسب موقع الانسان الفاعل لها. وعلى سبيل المثال فان كلمة (افعل) تمثّل صيغة الامر، وعندما تكون من العالى الى الدانى فانها تكون امراً، وعندما تصدر من الشخص الى نظيره تكون رجاءً، وعندما تصدر من الانسان لمن فوقه تكون دعاءً وطلباً.وهكذا الحال بالنسبة الى الصلاة فعندما تكون من الانسان لله كهذه الصلاة التى نصلّيها فانها تعنى حالة من الدعاء، ولذلك قال بعض علماء اللغة ان معنى الصلاة الدعاء، وهنا وقفوا حائرين؛ فاذا كانت الصلاة تعنى الدعاء، فما معنى صلاة الله على عباده، وما معنى صلاة الملائكة عليهم، ولماذا نجد نفس هذه الكلمة تتكرّر من ان استخدام المشترك اللفظى لايجوز فى آن واحد فى معنيين مختلفين كما يقول علماء الاصول؟؟ولحل هذا الاشكال نقول: ان الصلاة لاتعنى الدعاء فحسب، بل ان معناها ايضاً التعطف، أى تعطّف الانسان امام ربه، والعلاقة التى توصلنا الى الله - تعالى -، او طبيعة الرابطة والصلة بين العبدوبين ربّه، فمن جانب العبد تعنى الدعاء.ترى هل بامكان الانسان ان يطالب الله - جل جلاله - بشىء، وهل له على ربه حق فيطالبه به، وهل له حجة فيحتجّ بها على ربّه؟؟كلا بالطبع، فحتى الشكر الذى نقدّمه للخالق لايمكننا ان نقدمّه إلاّ باعتباره يتطلّب منا مزيداً من الشكر. أوليس الشكر باللسان، فمّمن هذا اللسان، أوليس من الله؟ أوليس الشكر بجوارح الجسم، وجوانح القلب وقدرات الانسان التى هى كلّها مملوكة لله - تبارك وتعالى -، أوليس الشكر بتوفيق منه - عز وجل -؟ اذن فحتى لو حمدنا الله وشكرناه وسبّحناه، فان له علينا حجة، وله علينا منّة، لانّه وفقنا الى شكره.

الصلاة على النبى و آله

اما الصلاة التى ندعو بها لرسول الله (صلى الله عليه وآله) فقد أمرنا ربنا بها فى سورة الاحزاب، وهى السورة التى خصّصت لبيان مكرمات النبى (صلى الله عليه وآله). وفى هذه السورة نجد ايضاً الميزات التى تميّز بها رسول الله (صلى الله عليه وآله)، والاحكام التى اختصّ بها، ونجد فيها - بالاضافة الى ذلك - قول البارى - سبحانه وتعالى - فى أهل بيت رسول الله، واصحابه،وذريته الذين ساروا على دربه:(اِنَّمَا يُرِيدُ الله لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً) (الاحزاب/۳۳)وبناء على ذلك فقد خصّصت هذه السورة المباركة لبيان علاقة الامة بالقيادة الرسالية، وخصوصاً بقيادة أهل البيت (عليهم السلام) فهى سورة أئمة الهدى حيث يقول - عز من

قائل -:(إِنَّ الله وَمَلآئِکَتَهُ یُصَلُّونَ عَلَى النَّبِیِّ یَآ أَیُّهَا الَّذِینَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَیْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِیماً) (الاحزاب / ۵۶)فما هی هذه الصلاة، وماهو معناها؟قبل کل شیء لابد من تصحیح مسار الثقافة الانسانیة عبر القرون والی الابد، فکلّما تورط الانسان فی انحراف اخلاقی جاء القرآن لیصلحه، ولیکون شفاءً وعلاجاً ونجاةً له من تلک الضلالة وذلک الانحراف. ومن هنا لابد ان نقول انّ هذه المکرمة - مکرمة الصلاة علی النبی وآله - هی التی خصّ بها المسلمون دون غیرهم، لانها وحدها تحمل فی طیاتها کل معانی العقیدة الایمانیة السلیمة، ورفض الافکار الباطلة.

الضلالات الشیطانیة للبشر

اشاره

ومن ابرز الضلالات التی وقع فیها البشر بوحی من الشیطانوتابعیه ضلالتان هما:

الاعتقاد بالغلو

وبانّ الانسان یمکنه ان یبلغ درجة الالوهیة بمجرد انتمائه الی شخص مقرب من الله - جل وعلا - فالیهود انّما قالوا: نحن ابناء الله، لانّهم زعموا انّ انتمائهم الی موسی بن عمران (علیه السلام) والی بنی اسرائیل، ولکونهم ینتمون ال هذا العنصر فان ذلک یعطیهم الحق بأن یفعلوا ما یشاؤون.وهذا الغلو مرفوض فی الاسلام، فنحن عندما نکنّ الحب لرسول الله (صلی الله علیه وآله) ونکرمه، فانما نفعل ذلک عبر الدعاء الی الله - تعالی - بان یصلّی علی نبیّه. ومعنی الدعاء الی الله - سبحانه - انک - أیها الانسان المسلم - عندما ترید ان توجد وتکوّن علاقة بینک وبین رسول الله (صلی الله علیه وآله) فلابد ان تکوّن هذه العلاقة فی اطار توحید الخالق؛ أی ان الرسول (صلی الله علیه وآله) لایمکن ان یکون الاّ عبداً لله - تعالی - فلا تغلُ فی دینک کما غلا قبلک الیهود، والنصاری، ولذلک نجد فی هذه السورة (الاحزاب) قوله - سبحانه -:(مَا کَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِن رِّجَالِکُمْ وَلَکِن رَّسُولَ الله وَخَاتَمَ النَّبِیِّینَ وَکَانَ الله بِکُلِّ شَیْءٍ عَلِیماً) (الاحزاب / ۴۰)أی لا تنسبوا الی رسول الله (صلی الله علیه وآله) صفوة الابوة تغلوا فی دینکم کما فعلت الیهود، والنصاری من قبل.

عدم الحاجة الی الوسیلة

وهناک ضلالة اخری تقول: لماذا نحتاج من اجل الاتصال بربّنا الی باب ووسیلة، أولیس الدین علاقة بین القلب والرب؟ فتکفینا - اذن - هذه العلاقة، ولسنا بحاجة الی رسول أو امام وقائد وملهم دینی، بل یکفینا ان نعقد علاقة بیننا وبین ربّنا فنرکع ونسجد ونتعبد له ثم ینتهی الأمر.وقد جاء القرآن الکریم لینسف هذه الضلالة ایضاً ولیقول: کلا؛ اذا أردت التقرب والعروج الی الله، فلابد من ان تتقرّب الیه عبر رسوله، وان تصلّی علی محمد (صلی الله علیه وآله) حتی تتقرّب إلیه. فرسول الله هو وسیلتک الی ربّک، ومعراجک إلیه. ولذلک جاء فی الأحادیث ان العبد اذا اراد ان تقبل دعوته ویستجاب نداؤه، فلابد ان یقدّم قبل الدعاء الصلاة علی محمد (صلی الله علیه وآله) وآله الکرام.ولکن علیک ان لا تزعم عبر هذه الوسیلة انّ بامکانک ان تتخطّی المراحل، وتتجاوز الوسائل، فالله اولاً، ثم رسوله، ثم أهل بیته، ثم الذین یمثلون خط رسول الله (صلی الله علیه وآله)، وخط أهل البیت (علیهم السلام)، فهؤلاء هم وسائلک الی الله - عزّ وجل - کما یقول القرآن الکریم:(وَابْتَغُوا إِلَیْهِ الْوَسِیلَةَ) (المائدة / ۳۵)

الحب دافع الانسان الی الطاعة

وثمة حكمة تتجلى لنا عندما نعرف ان علماء النفس بحثوا كثيراً فی طبيعة ظاهرة الطاعة لدی الانسان، والدوافع والنوازع التی تدعوه الی طاعة شخص من الاشخاص، وحينئذ اكتشفوا ان الانسان انّما يطيع من يحبّه، ولذلك قالوا انّ الطفل الرضيع انما يتّبع امه لحبه لها، وحبّها له، وليس لجبرها ايّاه، وخوفه منها، ولذلك ادركوا ان اعظم وسيلة تدفعك الی الطاعة هی الحب، ونحن - بدورنا - لابد ان نطيع رسول الله، ورسالته، وسيرته، وسنّته من خلال حبّنا له.

كيف نتبع رسول الله؟

ترى كيف نتّبع رسول الله (صلی الله عليه وآله)، وكيف نتّبع آل بيته الذين هم ضمير الدين، وقدوات المؤمنين، وأئمة المتقين؟ان بامكاننا ان نفعل ذلك عبر حبّهم، والحبّ - كأیّ شیء آخر - بحاجة إلی تنمية ورعاية. ونحن نستطيع ان ننمّيه من خلال الصلاة عليهم؛ فعندما نصلّی علی النبی وآله، وعندما نكرّر هذه الكلمة فی صلواتنا وبعدها وقبلها وفی مختلف الحالات فاننا نزداد حبّاً لهم؛ وعندما نزداد حبّاً لهم فانّنا سنزداد حبّاً لبرامجهم، ومناهجهم، وسنّتهم، وبالتالی فاننا سنحظی بتوفيق الخالق - جل وعلا -.

احاديث فی فضل الصلاة

وفی نهاية هذا الفصل ارى من الضرورى ان انقل جملة احاديث فی أهمية وفضل الصلاة من كتاب الكافی:- عن الامام الباقر والصادق (عليهما السلام) قالا- ":ما فی الميزان شیء اثقل من الصلاة علی محمد وآل محمد، وان الرجل لتوضع اعماله فی الميزان فتميل به فيخرج (صلی الله عليه وآله) الصلاة عليه فيضعها فی ميزانه فيرجّح (به. [") ۱۵] .- وعن عبد الله بن سنان عن أبی عبد الله الصادق (عليه السلام) قال ":سمعته يقول: قال رسول الله (صلی الله عليه وآله): ارفعوا اصواتكم بالصلاة علیّ فانّها تذهب بالنفاق. [" ۱۶] .- وفی كتاب الكافی ايضاً باسناده عن ابی بصير عن ابی عبد الله (عليه السلام) قال ":اذا ذكر النبی فاكثروا الصلاة عليه فانّ من صلّی علی النبی صلاة واحدة صلّی الله عليه ألف صلاة فی ألف صف من الملائكة، ولم يبق شیء ممّا خلقه الله الّا صلی علی العبد لصلاة الله عليه، وصلاة ملائكته، فمن لم يرغب فی هذا فهو جاهل مغرور قد برئ الله منه ورسوله وأهل بيته. [" ۱۷] .- وروى ابن قداح عن أبی عبد الله (عليه السلام) عن الرسول (صلی الله عليه وآله "):من صلّی علیّ صلّی الله عليه وملائكته. [" ۱۸] .- وعن الحسن ابن فضال عن الرضا (عليه السلام "):من لم يقدر علی ما يكفّر به ذنوبه فليكثر من الصلاة علی محمد وآله فانّها تهدم الذنوب هدماً." [۱۹] .- وروى عن مرازم قال ": قال أبو عبد الله (عليه السلام): ان رجلاً أتی رسول الله (صلی الله عليه وآله)، فقال: يا رسول الله إنی جعلت ثلث صلواتی لك. فقال له خيراً. فقال له: يا رسول الله انی جعلت نصف صلواتی لك. فقال له: ذلك أفضل. فقال: انی جعلت كل صلواتی لك. فقال: اذاً يكفيك الله عز وجل ما أهمك من أمر دنياك وآخرتك. فقال له رجل: أصلحك الله كيف يجعل صلاته له؟ فقال أبو عبد الله (عليه السلام): لا يسأل الله عز وجل شيئاً إلّا بدأ بالصلاة علی محمد وآله. [" ۲۰] .وعن النبی (صلی الله عليه وآله) قال ":اكثروا الصلاة علیّ فانّ الصلاة علیّ نور فی القبر، ونور علی الصراط، ونور فی الجنة. [" ۲۱] .- وفی رواية اخری عنه (صلی الله عليه وآله "):من صلّی علیّ فی كتاب لم تزل الملائكة تستغفر له مادام اسمی فی ذلك الكتاب. [" ۲۲] .وعلينا ان نحذر من ان نصلّی علی رسول الله (صلی الله عليه وآله) الصلاة البتراء، فقد نهی (صلی الله عليه وآله) بشدّة عن مثل هذه الصلاة، وهی ان نصلّی عليه ولا نصلّی علی أهل بيته، كما وعلينا ان نعلم ان حبنا لرسول الله (صلی الله عليه وآله) وأهل بيته (عليه السلام) هو اعظم زاد لنا فی مواجهة مصاعب الحياة، وعقباتها.

لكی نقتدی برسول الله

اشاره

بعد اربعة عشر قرناً من هجرة النبی (صلی الله علیه وآله) لایزال هذا السؤال حائرا بیننا؛ لماذا لم ننتفع بشخصیة الرسول (صلی الله علیه وآله)، من هذه الرحمة الالهیة التی اسبغها الله – تعالی – علی البشریة جمعاء، ومن هذه المنة التی تفضل الله بها علی عباده؟ترى لماذا لم نستفد من حیاته الشریفة بالشکل بالمطلوب بالرغم من ان عواطفنا واحاسیسنا ملیئة بالحب تجاهه؟ ولکن این نحن من سیرته وهدیه ومن خلقه العظیم وتوجیهاته والرسالات الالهیة التی انزلت علیه؟ان امامنا طریقاً واحداً یسلک بنا الی الحق، والی رضوان الله فی الآخرة، والخیر والرفاه فی الدنیا، هذا الطریق هو ان نعیش فی حیاتنا؛ قائدنا وامامنا رسول الله (صلی الله علیه وآله).

حبل بین السماء والأرض

والسؤال المطروح هنا هو: کیف نعیش هذه الشخصیة العظیمة فی حیاتنا؟ان النبی (صلی الله علیه وآله) الذی یعتبر الحبل الممتد بین الارض والسماء، انما یعاش اذا اعتصمنا بهذا الحبل الذی یمثله، ووحدنا صفوفنا، واتبعنا من یمثله عبر التأریخ. (فهو (صلی الله علیه و اله – اصطفاهم الله – سبحانه وتعالی –، وذلک من خلال اتباعهم، والتمسک بهدیهم)، وبذلک نکون قد شکرنا رسول الله (صلی الله علیه وآله) علی جهده وسعیه.والخلفاء بدورهم امرونا باتباع قیادته، واتباع هذه القیادة، والاعتصام بحبلها، والالتفاف حولها هو فی الحقیقة احیاء لذکری رسول الله (صلی الله علیه وآله)، و احیاء لنهجه، واستمداد من الرحمة الالهیة التی انزلت معه.

هدف البعثة طاعة الرسول

وفی هذا المجال یقول – عز من قائل –: (وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللّهِ) (النساء / ۶۴)، فطاعة الرسول (صلی الله علیه وآله) هی الهدف من بعثته، لا ان نکتفی بالایمان القلبی به من دون طاعة وعمل، فهل یمکن ان یکون هناک ایمان مفرغ من العمل؟ان طاعة الله – عز وجل – فی طاعة رسوله، وطاعة رسوله هی التی تذهب عنا الرجس، وتطهرنا من الذنوب کما یقول تعالی:(وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَآءُوکَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّاباً رَحِيماً) (النساء / ۶۴).ان الله – تعالی – انما یتوب علینا، وتعود الینا رحمته، وترجع الینا وحدتنا فی ظل " لا إله إلا الله، " وعزتنا الایمانیة، وحضارتنا التی هی حضارة الخیر والرفاه للبشریة، انما یعود الینا کل ذلک اذا استغفرنا الله – عز وجل – من خلال العودة الی رسوله.

الغفران باستکمال التوبة

ان الله یغفر الذنوب، وهو تواب رحیم، ولکن بشرط ان تستکمل التوبة شروطها، وشرط تحقیق اسم (التواب الرحیم) فی واقع الانسان ان یکون طریقنا الی الله – جلت قدرته – سلیماً، وصراطاً مستقیماً، وهذا الصراط یتمثل فی رسول الله (صلی الله علیه وآله) الذی ما یزال موجودا فینا عبر من أمر بطاعته. أولم یقل النبی (صلی الله علیه وآله) فی حدیثه المشهور المتفق علیه من قبل جمیع المذاهب الاسلامیة ": اللهم ارحم خلفائی ثلاثاً، قیل: یا رسول الله ومن خلفاؤک؟ قال الذین یتبعون حدیثی وسنتی ثم یعلمونها أمتی. [" ۲۳] .أفلیس العلماء بالله، الامناء علی حلاله وحرامه، المتصفون بصفة الربانیة، أولیس هؤلاء بین ظهرانینا، أولا نستطیع ان نجعلهم شفعاءنا عند الله – جل وعلا – من خلال اتباعهم؟ان استغفار الرسول (صلی الله علیه وآله) للامة هو شرط لعودة الرحمة الالهیة الیها، والرسول (صلی الله علیه وآله) لا یستغفر للامة إلا عندما تعود الی سیرته.

الرسول الحاکم

ثم یؤکد – تعالی – علی فکرة مهمة من خلال قوله:(فَلَا وَرَبِّکَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوکَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ) (النساء / ۶۵)، أی حتی

یجعلوک حاکما بینهم فی اشد القضایا واکثرها خلافا؛ الا وهی قضایا الخلاف التی یشیر الیها - تعالی - ب (الشجار)؛ أی فیما یبرز بیننا من خلافات.فإن کنا نؤمن جمیعاً بالله والرسول فلماذا الاختلاف، ولماذا التفرقة، ولماذا التنابز بالالقاب، والعنصریة، والطائفیة، والحدود،والمسافات الفاصلة، ولماذا لانوحد صفوفنا؟ان قولنا ان رسول الله (صلی الله علیه وآله) هو قائدنا لایکفی، فالقائد یوحد جماعته، فلماذا - اذن - لا نتوحد تحت رایته؟فبعد اتباع القیادة لابد من الاهتمام بالوحدة علی اساس هذه القیادة، وتأکیداً علی هذه الفکرة یقول - تعالی - بعد ذلک القسم من الآیة:(... ثُمَّ لاَ یَجِدُوا فِی أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَیْتَ وَیُسَلِّمُوا تَسْلِیماً) (النساء / ۶۵).وهکذا فان الرسول (صلی الله علیه وآله) یوحد صفوف المسلمین، وهو القاضی بینهم، والحاکم علیهم دون ان یکون لهم الحق فی الاعتراض علی هذا الحکم حتی بهواجس قلوبهم. فالحاکم لا یحکم دائما فی مصلحتک، فقد تکون مخطئا فیحکم علیک، وإذا حکم علیک فان هوی نفسک س?C I??? ??معارضته علنا، او علی الأقل فانک ستضمر المعارضة له فی قلبک، فی حین ان الله - عز وجل - یشیر بصریح العبارة الی ان مجرد اضمارک لهذه المعارضة، ووجدانک الحرج فی نفسک مما قضی به رسول الله (صلی الله علیه وآله) سوف یکونان سببا لاختلال ایمانک وضعفه:(فَلاَ وَرَبِّکَ لاَ یُؤْمِنُونَ حَتَّی یُحَکِّمُوکَ فِیمَا شَجَرَ بَیْنَهُمْ ثُمَّ لاَ یَجِدُوا فِی أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَیْتَ وَیُسَلِّمُوا تَسْلِیماً)(النساء / ۶۵).والحرج هو الضیق والمخالفة النفسیة، والتسلیم یعنی الاذعان الکامل لما یأمر به.وکل ذلک لا یمکن ان یحدث إلا من خلال الاستغفار، ومن ثم الخضوع للقیادة، وتوحید الکلمة، وبذلک تعود الینا عزتنا وحضارتنا.

مولد النور

اشاره

کان الظلام سائداً علی العالم، وکانت الاصنام تعبد جهراً بفعل الانحرافات الجاهلیة، وکانت البشریة غارقة فی الضلالة، وقوی الاستکبار هی سیدة الموقف فی کافة انحاء الارض، و المستضعفون یرزحون تحت نیر السلطات الطاغیة، و الاقویاء والاغنیاء یفرضون منطق القوة، وشریعة الغاب فی کل مکان.الامبراطوریة الرومانیة کانت تعتنق المسیحیة ظاهراً، والطبقیة کانت قد بلغت اوجها.اما الامبراطوریة الفارسیة فقد کانت تعج هی الاخری بالعنصریة والطبقیة، وجماهیر الفلاحین والمهنیین ترزح تحت نیر الضرائب المتصاعدة.وفی الجزیرة العربیة کان شعار الناس الخوف، ودثارهم السیف، وحیاتهم ملیئة بالتعاسة والمآسی.

بدایة عصر جدید

وازاء هذه الاوضاع أبت رحمة الله - عز وجل - إلا ان تبعث للبشریة منقذاً وهادیاً، وبشیراً، وسراجاً منیراً، فولد الرسول محمد بن عبد الله (صلی الله علیه وآله) بعد خمسة وخمسین یوماً من واقعة الفیل الشهیرة حیث کانت هذه الواقعة ارهاصا وإیذاناً بانتهاء عصر، وبدایة عصر جدید، فقد بعث الله - سبحانه - طیرا ابابیل علی جیش ابرهة فقتلهم ودمرهم واهلکهم عن بکرة أبیهم بعد ان تجبروا، وحاولوا الاعتداء علی بیت الله الحرام. فهاهو الغیب یدخل طرفاً رئیسیاً فی معرکة الخیر والشر، والحق والباطل، ویدعم الحق بقوته. وهاهو الارهاص بطلوع فجر جدید لان الله - عز وجل - خلق الناس لیرحمهم لا لیعذبهم، و قد أبی ان یستمر المستضعفون والفقراء والبؤساء فی وضع کهذا الوضع، فبعث رسوله خیراً عمیماً ورحمة للعالمین.وعند ولادة سید الخلق (صلی الله علیه وآله) کانت هناک ارهاصات عدیدة اخری فی الأرض؛ فقد غاضت بحیرة ساوة، وفاضت بحیرة السماوة، وزلزل ایوان کسری وسقطت منه أربعة عشر شرفة، وخمدت نیران المجوس ولم تخمد قبل ذلک الف سنة.وشهد العالم حوادث اخری غریبة لم یکن یعهدها من قبل ایذاناًبأن الله - عز وجل - شاء ان ینقذ البشریة، فوضعت آمنة ذلک الولید الذی عمت برکته البشریة علی امتداد التأریخ.

دروس المیلاد

وهنا يتبادر الى الاذهان السؤال التالى: اننا اليوم نعيش فى ظروف شبيهة فى ابعاد مختلفة للجاهلية التى كانت سائدة قبل الاسلام، فنحن نشهد الآن الجاهلية المادية الطاغية وهى تسعى اليوم لتعم بضلالتها وظلامها الارض، فكيف ننتفع ونستلهم العبر والدروس من ذكرى مولد الرسول الاعظم (صلى الله عليه وآله)؟ان البعض يعتقد - للاسف الشديد - اننا لا نستطيع ان ننتفع بشخصية النبى (صلى الله عليه وآله) مادام غائبا عنا، وهذا التصور يتضمن خطأ فظيعا، فان يكن الرسول غائبا عنا فان الكتاب الذى اوحى الى قلبه الشريف مايزال باقيا، كما ان سيرته الوضاءة ماتزال بين ايدينا، وسنحاول فيما يلى الاجابة على السؤال السابق عبر طرح النقاط والملاحظات التالية:

استفادة ممكنة

۱- ان الاستفادة من شخصية الرسول (صلى الله عليه وآله) ممكنة من خلال دراسة سيرته، فمن المعلوم ان رسالته (صلى الله عليه وآله) كانت اول رسالة كتبت، لان الكتابة فى عهده كانت منتشرة، وكان (صلى الله عليه وآله) بدوره يؤكد عليها، وهكذا بقيت سيرته العطرة ذخرا لنا، فالرسالات السماوية السابقة لم تكتب بتفاصيلها كما كتبت رسالة نبينا الأعظم (صلى الله عليه وآله)، وعلى سبيل المثال فقد روى لنا التأريخ تفاصيل وجزئيات كاملة عن حياة النبى (صلى الله عليه وآله)؛ كيف كان ينام، وكيف كان ينهض، وكيف كان يأكل ويشرب ويمشى، واسلوب تعامله مع أهله، واصحابه،... كل هذه التفاصيل وغيرها مثبتة فى كتب السيرة بوضوح الى درجة ان هذه الكتب ذكرت لطريقة شرب النبى (صلى الله عليه وآله) للماء ثلاثين اربا!ومن جهة أخرى فان القرآن الكريم يقول فى هذا المجال: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) (الاحزاب / ۲۱)، والاسوة تعنى ان نستلهم الدروس والعبر من سيرته وكأنه (صلى الله عليه وآله) يقودنا بالفعل ويعيش بين ظهرانينا، فعلينا ان نجسده فى اذهاننا، ولو اننا استلهمنا من سيرته العطرة كل التفاصيل وربطناها ببعضها لجسدنا سيرته، وحينئذ نستطيع ان نتساءل عندما نواجه أى سؤال محير او موقف صعب، كيف كان يتصرف الرسول (صلى الله عليه وآله) فى مثل هذه المواقف؟ كيف كان - مثلاً - يقود الحرب (علماً اننا بحاجة الى سيرته فى الحرب لاننا فى حالة جهاد)؟ وكيف كان (صلى الله عليه وآله) يقود الأمة فى حياته، وبأى خلق كان يتفاعل مع المجتمع، وكيف أدار ذلك المجتمع الجاهلى الغارق فى الغفلة، والعداوات، والصراع؟ان على كل فرد منا، وعلى المجتمع كله دراسة سيرة النبى (صلى الله عليه وآله) بشكل معمق، وحفظ هذه السيرة ومحاولة اتباعه (صلى الله عليه وآله) فيها، وحينئذ ستكون سيرته هذه رحمة لنا كما كان وجوده رحمة لمن كان حوله.

رمز وحدة الأمة

۲- ان الرسول (صلى الله عليه وآله) يمثل راية واحدة توحد الامة، فجميع الخطوط تنتهى الى شخصيته (صلى الله عليه وآله)، ونحن لو اتخذنا منه منطلقا للوحدة والتوحيد وتركيز الجهود، ولو اتخذنا منه (صلى الله عليه وآله) حبلا نعتصم به لأصبحنا امة قوية مقتدرة لا يمكن ان تنال منها مؤامرات الاعداء.وعندما يقول الله - سبحانه -: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللّهِ جَمِيعاً) (آل عمران / ۱۰۳)، فانه يؤكد فى آية سابقة على ان حبل الله يتمثل فى اثنين؛ الرسول (صلى الله عليه وآله)، والرسالة اى القرآن الكريم، فالاعتصام بحبل الله - عز وجل - يعنى توحيد الصفوف تحت راية النبى (صلى الله عليه وآله)، وهذا مطلب يمكن تحقيقه لان الرسول (صلى الله عليه وآله) حاكم فيما بيننا، والاحتكام الى منهجه وتعاليمه يعد من الفرائض التى اشار اليها القرآن الكريم فى قوله:(فَلَا وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيماً) (النساء / ۶۵).فالتسليم لمنهج النبى (صلى الله عليه وآله) من شأنه ان يوحدنا، اما ان يعتقد كل فريق بان رسول الله (صلى الله عليه وآله) ملكه، وينفى انتماء الآخرين اليه، فهذا ما سيولد الشقاق والخلاف الذى جعل المسلمين اليوم معرضين للغزو العسكرى، والاقتصادى، والسياسى، والثقافى...

القرآن الناطق

۳- لاشک ان رسول الله (صلی الله علیه وآله) متجسد فی القرآن الکریم، فقد کان (صلی الله علیه وآله) خلقه القرآن، کما واثنی علیه الخالق - عز وجل - قائلاً: (وَإِنَّکَ لَعَلَی خُلُقٍ عَظِیمٍ) (القلم / ۴).ولاریب ان کتاب الله موجود بین ایدینا، وعلینا الالتصاق اکثرفأکثر بهذا الکتاب العظیم، والاستفهام من آیاته الکریمة، والعمل بتعالیمه المقدسة، احیاءاً لسیرة رسول الله (صلی الله علیه وآله)، واستنزالاً لرحمته التی شملت العالمین بأجمعهم، فقد جاء الیهم بکتاب هو نور وهدی، وفیه بصائر وذکر، وفیه تفصیل کل شیء.اننا نعیش فی کل عام ذکری سعیدة هی ذکری ولادة النبی (صلی الله علیه وآله)، ونحن نهنئ انفسنا، والعالم الاسلامی، بل البشریة کلها بهذه الذکری، ونؤکد ان الرسول (صلی الله علیه وآله) لم یکن رحمة للمسلمین فقط، بل کان رحمة للعالمین. وعلینا ان نسعی ونبذل الجهود من اجل هدایة البشریة کلها بسیرة الرسول (صلی الله علیه وآله) الوضاءة. فأین دعوتنا هذه من الناس، ولماذا لانحمل هذا السراج المنیر الی جمیع ارجاء العالم وخصوصا تلک المناطق التی تبحث عن النور، والتی عانت ما عانت من الویلات والمآسی بسبب ضلالها، وابتعادها عن الصراط المستقیم الذی رسمه لها الخالق - عز وجل -؟ان الدعوة الآن الی الرسالة التی سبق وان حملها نبینا الأعظم محمد (صلی الله علیه وآله)، والعمل المنظم والدؤوب من أجل نشرها، یمثلان واجبا اساسیا نستلهمه من هذه الذکری، ومن هذا الحدث الحبیب الی قلوبنا. فالبشریة الیوم هی احوج ما تکون الی من یصحح انحرافاتها، ویهدیها الی سواء السبیل، وینقذها من اسر المذاهب الوضعیة التی لم تجر علیها سوی المزید من الازمات والمشاکل فی مختلف الأصعدة.

میلاد الرحمة

اشاره

هناک ایام تبقی تتألق فی احشاء التأریخ المظلمة فیما تتلاشی سائر الأیام، فما هو سر تألق تلک الأیام التی هی من أیام الله التی لایمکن ان ینطفئ توهجها؟ فلقد مضت عشرات القرون وذکری البعثة النبویة الشریفة لنبی الرحمة، وخاتم الانبیاء والمرسلین محمد (صلی الله علیه وآله) ماتزال جدیدة طریة تستقطب اهتمام کل مؤمن فی کل مکان، فیما تشهد المعمورة وقوع حوادث شتی سرعان ما تضمحل، وتتلاشی من ذاکرة التأریخ، فما سر بقاء هذه الذکری وغیرها من الذکریات الالهیة؟

سر تجدد الذکری

ان السر فی تجددها وخلودها وخصوصا ذکری البعثة النبویة الشریفة هو ما لهذه الذکریات من علاقة وثیقة، واتصال متین بالسنن الالهیة الثابتة، ولکون البشریة بحاجة ماسة الی تجدیدها لما لها من دور فی تحقیق الضرورات التی یحیاها الانسان المؤمن فی حیاته.وهکذا الحال بالنسبة الی کافة الذکریات الاسلامیة الاخری کذکری عاشوراء التی تتجدد کل عام وکأنها وقعت فی ذلک العام، فهذه الذکریات ومنها ذکری البعثة النبویة الشریفة انما تتجدد، وتظل خالدة بسبب مالها من علاقة واتصال بحاجات الانسان فی الحیاة.

حاجة متجددة

فالبعثة النبویة لم تکن واقعة تأریخیة مرت مرور الکرام فمضت وانتهت، ولم تکن الحاجة البشریة الیها حاجة وقتیة انتهت واستغنی عنها، بل هی حاجة متجددة، وحقیقة مستمرة، ولقد ابدت البشریة تجاوبها مع نداءات الوحی التی انطلق صداها الی الدنیا من غار حراء أن: (قْرَأْ بِاسْمِ رَبِّکَ الَّذِی خَلَقَ) (العلق /۱)، وظل هذا الدوی یمخر عباب التأریخ الطویل، وانتشر فی ارجاء الدنیا رغم کل العوارض، والعوائق، والمحاولات القاسیة التی ارادت ان تحول دون وصوله إلینا.ومنذ ذلک الیوم المجید وحاجة الناس الی البعثة النبویة ماتزال

مستمرة، ونحن بالطبع من هؤلاء الناس، فنحن مازلنا بأمس الحاجة الى هذا الانبعاث الالهى الذى من شأنه ان يوقظ هذه البشرية السادرة فى غفلتها، والمنطوية على ذاتها المتأطرة فى حدودها الضيقة، فنحن نلمس اليوم مدى الحرمان والبؤس الروحى الذى يعم ارجاءها، فلابد لها فى كل آن من بعثة وانبعاث.

رسالة عالمية

ان مهمة النبى (صلى الله عليه وآله) لم تقتصر على اهل مكة والمدينة وحدهما، وهو (صلى الله عليه وآله) لم يكن رسولاـ لأهل الجزيرة العربية فحسب، ولا للأمم التى عاصرته، وعايشته فقط، بل كان رسولا لكل الاجيال والأمم على مدى التأريخ منذ لحظة انبعاثه (صلى الله عليه وآله) رسولاً ورحمة للعالمين، والبشرية كلما احتاجت الى انبعاث روحى فليس امامها إلا العودة الى هدى النبى الأعظم (صلى الله عليه وآله).ان وجه الدنيا قد تبدل عما كان عليه فى الأمس أبان العصر الأول للرسالة؛ حيث تغيرت ظواهر وحقائق كثيرة، وحدث انقلاب عظيم فى مظاهر الحياة المادية، فأين ركوب الدواب من التحليق بالطائرات، واين الاستنارة بمصابيح الزيت من المصابيح الكهربائية؟ وهكذا الحال بالنسبة الى كافة مظاهر الحياة التى تبدلت وتغيرت شيئا فشيئاً حتى غدا هذا العصر عصر العقول الالكترونية.

الطبيعة البشرية باقية

ولكن الشيء الوحيد الذى لم يطرأ عليه التغيير هو الطبيعة البشرية، حيث مازالت البشرية تريد اشباع حاجتها الروحية، وظلت بحاجة الى رحمة الهية مهداة كما قال النبى (صلى الله عليه وآله "): انما انا رحمة مهداة [" ۲۴] ، وقد أكد القرآن الكريم على هذه الحقيقة قائلا: (وَمَآ أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ) (الانبياء / ۱۰۷).وعندما يتحول التفكير البشرى الى تفكير مادى، فيغوص ابناء البشر فى شهواتهم وملذاتهم، ويجرون وراءها، فتنشب النزاعات والفتن، وتسيل الدماء، وتزهق الارواح، فحينئذ لابد لها من بلسم ينقذها من الهلاك، والدمار، ويداوى جراحها.

رسالة السماء بلسم البشرية

وهذا البلسم ليس إلا رسالة السماء، وبالتأكيد فان البلسم الشامل والكامل هو ما تجسد فى بعثة نبى الرحمة، وخاتم رسالات السماء محمد (صلى الله عليه وآله) علما ان حال البشرية اليوم ليس بأفضل من حالهم بالأمس وفى عصر ما قبل الرسالة، فقد كان حالهم كما وصفه أمير المؤمنين (عليه السلام) بقوله ": أرسله على حين فترة من الرسل، وطول هجعة من الأمم، واعتزام من الفتن، وانتشار من الأمور، وتلظٍّ من الحروب... وشعارهم الخوف، ودثارهم السيف [" ۲۵] ، وهو افضل وصف لحالتهم المتزعزعة المتردية حيث لا أمن إلاـ بالسيف والقوة.لقد كان الاقتتال بين القبائل العربية يقع لأتفه الاسباب، وعلى سبيل المثال فان الأوس والخزرج اقتتلا لأكثر من ثلاثمائة سنة من أجل سبب بسيط وتافه إلا وهو قتل بهيمة، وقد كانت القبائل العربية تنقض فى بعض الاحيان – عندما يداهمها الجوع – على آلهتها المصنوعة من التمر لتأكلها!، وأما السبل فقد كانت غير آمنة من قطاعها الذين كانوا يسلبون وينهبون ما طاب لهم من اموال القوافل المارة بهم، وعلى هذه الصور وغيرها كان حال الجاهلية الأولى.

قبائل العصر الحديث

واذا ما تأملنا حال العالم اليوم اكتشفنا انه ليس بأفضل مما كان عليه فى الأمس وإن اختلفت الوسائل والمظاهر، فزعماء البشرية اليوم يصنعون وسائل فنائها وانقراضها بأيديهم حيث الصواريخ المدمرة، والقنابل النووية، والاسلحة الكيمياوية، والغواصات المزودة

بالرؤوس النوویة التی تجوب اعماق المحیطات طولاً وعرضاً.کما وان البشریة غدت الیوم مهددة بشتی انواع المخاطر الداهمة مثل الجوع والمرض والحرمان والجفاف والقحط المنتشر فی ارجاء کثیرة من الأرض.ومع وجود هذه الاوضاع المأساویة، تری هل غدت البشریة المعذبة غنیة عن الرسالة، وانبعاثها الجدید کما یزعم البعض من المنبهرین بوسائل الحضارة المتطورة؟ کلا وألف کلا؛ بل ربما ازدادت الحاجة لهذا الانبعاث اضعافا واضعافا عما کانت علیه بالامس.فان کان الاقتتال بالامس یعتمد علی قوة الفرد، وقدرته علی حمل السیف، ومنازلة الخصم به، فانه یختلف الیوم بنسبة واحد الی ملیون؛ فبمستطاع شخص او شخصین یجلسان وراء الازرار، وبمجرد ضغطات بسیطة علیها ان یطلقا الصواریخ العابرة للقارات، فینعدم بذلک وجود الملایین من البشر، وتلغی صلاحیة الارض للحیاة؛ ای ان بامکان هذین الشخصین ان یحددا ویقررا مصیر هذا العالم من موقعهما، فی حین ان جیوش الامس کان علیها ان تسیر ایاماً ولیالی، وتقطع الصحاری والقفار والودیان والسهول لکی تبلغ مواقع المواجهة بینها، فاین حروب الامس من حروب الیوم؟!

انبعاث رحمانی

وبناء علی ذلک فنحن بحاجة الیوم الی الانبعاث الرحمانی، وهذا الانبعاث یتجدد مع تجدید الذکری والاستلهام منها؛ فان کانت البعثة فی الأمس سبب فی اصلاح قبائل متناحرة لایتجاوز عدد افرادها بضعة آلاف من الناس، فانها الیوم ضروریة لاصلاح امر الملایین من البشریة المعذبة والمضطهدة التی تحتاج الی من یعمل علی انقاذها وتحریرها مما تعانی منه الویلات، والفتن، والآثار السلبیة للحرمان.وهنا یتبادر الی الاذهان السؤال المهم التالی: هل المهم فی الرسول (صلی الله علیه وآله) شخصه ام نهجه ونبراسه الرسالی اللذان ما یزالان قائمین وسیظلا کذلک حتی قیام الساعة؟ من المعلوم ان غیاب شخصه (صلی الله علیه وآله) لیس مهما کأهمیة ما جاء به فی رسالته الالهیة من تعالیم سامیة بدلیل قوله - تعالی -: (یَآ أَیُّهَا النَّبِیُّ اِنَّآ أَرْسَلْنَاکَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِیراً - وَدَاعِیاً اِلَی اللَّهِ بِاِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُّنِیراً) (الاحزاب / ۴۵-۴۶).فالرسول (صلی الله علیه وآله) سراج لاینطفئ وإن غاب شخصهعنا، وحاشا لنور الرسالة الوهاج ان تحجبه الغیوم الداکنة، فلا ید للزمان تتطاول فتنال من شعاع الرسول (صلی الله علیه وآله) الساطع الخالد، فهذا النور موجود مادامت کلمة " لا إله إلا الله محمد رسول الله " تطل علی الخافقین، ولذلک فان اهم ما فی ذکری البعثة النبویة الشریفة ان نجدد هذه الذکری مع الزمان مادامت الحاجة الی الرسالة مطلوبة ومتجددة.وربما یغیب عن البعض، بسبب ما یترک الانبهار بحضارة الغرب من أثر علی النفوس، ان العالم الغربی صار مثله مثل تلک العجوز الشمطاء التی أکل الدهر علیها وشرب فلجأت الی عطار فی محلتها علها تنجح فی اصلاح نفسها! فالغربیون باتوا الیوم یحاولون تلمیع وجوههم، واصلاح ظاهرهم الذی غداً سخیفاً باهتاً، ویکفی فی هذا المجال ان تشهد تقاریر مرض الایدز بمدی التفسخ الخلقی الذی یعیشونه، هذا المرض الذی لم ینجحوا لحد الآن فی اکتشاف علاج له.ومن حقنا ان نتساءل هنا: من المسؤول عن هذه الویلات والمآسی التی تمر بها البشریة، ألیس هو الفکر الجاهلی المادی المتمثل فی الحضارة الغربیة؟ وعندما یکون هذا الفکر هو السبب، ألیست البشریة بحاجة الی رحمة الهیة تقف فی وجه هذا الاتجاه الجاهلی المعاصر وتقضی علیه؟الرحمة عند الرسول (ص):تری این نجد هذه الرحمة، وماهو مکمنها؟ انها عند رسول الله (صلی الله علیه وآله) متمثلة فی ما جاء به من الرسالة، ونهجها الخالد العظیم، واهدافها السامیة النبیلة، فالعمل الجبار والمذهل الذی انجزه النبی (صلی الله علیه وآله) ومایزال ینجزه عبر رسالته ونهجه الخالدین یتمثل فی انه صنع من هذا الانسان الذی کان یتحرک من اجل دنیاه، ومن منطلق شهواته ودوافعه الانانیة، صنع منه انساناً یکاد یکون انموذجاً فی الاخلاق السامیة، فاذا به عطوف رحیم کریم، یحب الآخرین، ویضحی من أجلهم، ویحب امته، ویقدس عقیدته، ومبادئه، ویحمل رسالة فی الحیاة.ومن خلال الایثار صارت تلک الجماعة الرسالیة الاولی مثالاً یضرب علی مر الاجیال، وفی هذا المجال یروی لنا التأریخ انه عندما سقط عدد من اصحاب النبی (صلی الله علیه وآله) فی احدی الحروب جرحی وکان العطش قد اخذ منهم مأخذه، جیء لهم بالماء، وأعطی لأولهم فأبی ان یشرب قبل أخیه الثانی المطروح الی جنبه، وعندما أعطی هذا الماء الی الثانی أبی هو الآخر ان یشرب قبل أخیه الثالث وهکذا حتی جاء دور العاشر فقال: ان

الاول اولی منی واحق بشرب الماء، فلما عادوا الی الأول وجدوه قد فارق الحیاة، وهکذا الحال بالنسبة الی الثانی والثالث حتی التحق الجمیع بالرفیق الأعلی وهم عطشی لم یذوقوا الماء لانهم آثروا الآخرین علی أنفسهم.

امة متآخیة و موحدة

وهکذا فقد صنع الرسول (صلی الله علیه وآله) من تلک الامة المتمزقة المشتتة، امة واحدة متآخیة تسودها المودة والتضحیة والایثار، وتأمر بالمعروف وتنهی عن المنکر، وتجاهد فی سبیل الله حق جهاده، فلقد تحرروا من أطر انفسهم الضیقة التی کانوا یعیشونها فی الجاهلیة، واصبح الواحد منهم یهب مسرعاً یحمل سیفه، وینطلق للجهاد بمجرد ان یطرق سمعه نداء: (وَمَا لَکُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِی سَبِیلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِینَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَآءِ وَالْوِلْدَانِ) (النساء / ۷۵).وهکذا تغیرت کل القیم الجاهلیة، بل ونسفت من اساسها بفضل ذلک المنهج الرسالی، وصار الجمیع جنودا للاصلاح والتغییر، وتحولت تلک الکتل المتنازعة المتناحرة الی کتلة واحدة متراصة تعبد الله، ولا تشرک به شیئا، وتخوض غمار الجهاد، وتدعو لله – تعالی –، وقد انتشر نور الاسلام بفضل جهاد ابنائه الذین حملوا رایة الجهاد والدعوة الالهیة منطلقین من الجزیرة العربیة الی بقاع العالم شرقاً وغرباً وشمالاً وجنوباً، وهذه هی أمة الرسالةوامة القرآن التی صنعها النبی (صلی الله علیه وآله).

مسافات شاسعة

اما نحن فمازالت المسافة شاسعة بیننا، وبین ما یدعو الیه القرآن، فأین نحن من تلک النداءات والوصایا والاوامر القرآنیة؟ أولسنا نحن الذین ینبغی ان نتأسی بالرسول واخلاقه وسیرته فی حیاتنا؟اننا الیوم بأمس الحاجة الی امة منا تقوم باعباء مسوؤلیتها التأریخیة، وتحمل رایة النبی (صلی الله علیه وآله) من جدید، وتعمل علی ایقاظ القیم الایمانیة فی النفوس، هذه القیم التی تدعو الی القسط، وحب الآخرین، والایثار، والتضحیة، بل الی حب الله – عز وجل –، وتغییر ما فی النفوس من عوامل التردی والتخلف، واصلاحها، وبالتالی اصلاح المجتمع الفاسد.ان من اعظم الانتماء هو ان ننتمی الی تلک القیم التی تنادی وتدعو لها الرسالة المحمدیة، ولنحذر کل الحذر من ان تکون اهداف حرکتنا متلوثة بالروح الانانیة النفعیة؛ ای یجب ان لا تکون اهدافنا شخصیة بل لتکن اهدافاً من أجل الله تعالی وفی سبیله، ومن أجل ابناء هذه الأمة المعذبة المضطهدة فی کل مکان من بقاع عالمنا الاسلامی.

لا نجاح للمجتمع الانانی

ولنعلم انه لن تزهر وتورق شجرة المجتمع الانانی، بل تزهر وتورق وتثمر شجرة ذلک المجتمع الذی تشیع فیه روح الایثار والبذل والتضحیة من أجل الآخرین، ویسوده التعاون والتکاتف والمسارعة الی الخیرات، وهذا هو المجتمع الناجح الذی ینشد التقدم والازدهار والذی یمثل اساس الحضارة الانسانیة الحرة الکریمة.وهذا المجتمع هو الذی یتحرک نحو الکمال، والاهداف النبیلة السامیة لان الید الالهیة ستکون فی عونه، وتسدد افراده، وقد ضمن الله – سبحانه – لعباده النصر والتأیید فیما لو نصر ابناء هذا المجتمع ربهم بتلک الروح الایجابیة الخلاقة المتمثلة فی تحمل المسؤولیة، والتوکل علیه – تعالی –، وقد اشار القرآن الکریم بصراحة الی هذا المعنی فی قوله: (إِن تَنصُرُوا اللَّهَ یَنصُرْکُمْ وَیُثَبِّتْ أَقْدَامَکُمْ) (محمد / ۷).ونصرة الله – جل وعلا – تعنی فی جانب منها نصرة أولیائه، وکتابه العزیز من خلال العمل بمناهجه وقیمه واوامره ونواهیه وکل شرائعه المقدسة، فلابد من ان نتآخی بیننا کما یقول – تعالی –: (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ) (الحجرات / ۱۰).ولابد من التعاضد والتعاون کما أکد علی ذلک – عز وجل –قائلا: (وَتَعَاوَنُوا عَلَی الْبِرِّ وَالتَّقْوَی وَلا تَعَاوَنُوا عَلَی الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ) (مائدة / ۲).

کتاب کله هدی

ولاـ مناص لنا ایضا من الالتفاف حول کتاب الله، والأخذ بسیرة رسوله واولیائه من الأئمة (علیهم السلام) حیث یقول – تعالی –: (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللّهِ جَمِیعاً وَلاَ تَفَرَّقُوا) (آل عمران / ۱۰۳).وکتاب الله العزیز کله هدی، وهو السراج الذی ینیر لنا طریق الحیاة الحرة الکریمة، وهو الذی یأمرنا بالتلاحم، والتعاون فیما بیننا.ولابد ان نجسد اسلامنا من خلال تلک المعانی والقیم؛ قیم المسؤولیة، والاهتمام بمصیر الآخرین عبر مساعدتهم، وانقاذهم من المصائب والویلات والکوارث التی تحل بهم کما یصرح بذلک الحدیث الشریف ": من اصبح لاـ یهتم بأمور المسلمین فلیس بمسلم. [" ۲۶] .أما آن الأوان لأن نتحمل مسؤولیاتنا التأریخیة تجاه اخواننا المضطهدین المقهورین فی بلدان عالمنا الاسلامی الشاسع؟وللأسف فعندما یکون الحدیث حدیث المسؤولیة والحث علیها، تتدفق سلسلة التبریرات الواهیة التی یدحضها القرآن جملة وتفصیلا فی قوله – تعالی –: (بَلِ الإِنسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِیرَةٌ – وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِیرَهُ) (القیامة / ۱۴–۱۵).فلنکن فی عون اخواننا اینما کانوا، ولنبحث عن ذوی الحاجة والعوز الذین قد لاتبدو حاجتهم علی سیماهم لتعففهم، فعلینا ان لا ننتظر لکی یبادرونا بالسؤال لان فی السؤال ذلة، والمؤمن ینبغی ان یبقی عزیزاً، صائناً لکرامته. ولنقرأ تأریخ الأئمة (علیهم السلام) وکیف کانوا یوصلون الحاجة الی اصحابها بأسالیب تحفظ کرامة الانسان المحتاج، فقد کانوا (علیهم السلام) یدورون علی بیوت الفقراء والمساکین متنکرین لایسألون الناس الحافاً.وإذا کان البعض لایعانی من الحاجة المادیة فان حاجته قد تکون معنویة؛ أی قد یکون محتاجاً الی الهدایة والرشاد، ومثل هؤلاء ینبغی البحث عنهم وانقاذهم مما هم فیه من جهل وضلال وبعد عن الحقائق، ولنعلم ان الله سبحانه ینزل فیض رحمته علی عباده إن هم تراحموا بینهم، ونبینا (صلی الله علیه وآله) هو نبی الرحمة، وتتجلی هذه الرحمة فی تعالیمه، وسیرته وقیمه، وفی کتابه، وما علینا إلا ان نلتف حول الرسول (صلی الله علیه وآله) ورسالته، ونحمل رایته لکی نقترب من هدیه، ونبلغ هذا الهدی للعالمین.

انطلاقة العقل والارادة

اشاره

فی عصر ما قبل البعثة النبویة الشریفة کانت البشریة غائصة فی مستنقع الجهل والضلال، حیث لف العقل البشری – هذه النعمة الالهیة الکبری – برکام من الخرافات والاساطیر، وحجب الغفلة والشهوات، وکذلک الارادة – هذه القوة الالهیة التی تمیز بها الانسان – کانت قد غلت بالاصر والاغلال، بالاضافة الی القلب الذی هو ینبوع العواطف الخیرة فهو الآخر دس فی رکام من الاخلاق الرذیلة التی حجبته عن تلک العواطف.ومن أجل انقاذ هذا الانسان تدخلت ارادة السماء فولد النور، وانبعث الخیر علی اعتاب مولد النبی محمد (صلی الله علیه وآله)، وإثر ذلک تغیرت النوامیس واذا بشرفات قصر کسری بالمدائن تتهاوی، ونیران المجوس فی فارس تخمد، وغیرها من التحولات العظیمة التی جذبت انتباه العالم الیها.

ارادة السماء تتدخل

لقد کانت هذه التحولات الکبیرة اشارة واضحة الی تدخل ارادة السماء فی ساحة الصراع بین الخیر والشر، والنور والظلام، والحب والبغضاء، بعد ان لف ظلام الجهل نور الحقیقة، وسیطر الطغاة علی مقالید الارض حتی لم یعد الدعاة الی الله – تعالی – قادرین علی الصمود امام هجمات الجاهلیین، وحینئذ قررت الارادة الالهیة، والمشیئة العلیا ان ینتصر النور علی الظلام، والعقل علی الجهل، بولادة سید البشر محمد (صلی الله علیه وآله).وهذه الولادة المبارکة کانت بمثابة انطلاقة حضارة السماء التی ستعم الارض، وهی آخذة بالتقدم والتکامل حتی یظهر ولی الله الأعظم فیملأ الارض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً.ونحن إذا قرأنا التاریخ، ودرسنا فصول

الحضارات على وجه الخصوص لرأينا ان الخط البيانى لتقدم البشرية قد بدأ لحظة ميلاد الرسول الأعظم (صلى الله عليه وآله) وبعثته، صحيح ان كل رسالات السماء كانت تحمل معها وقود الحضارة لتدفع بالبشرية الى الامام، الا ان رسالة النبى الاعظم محمد (صلى الله عليه وآله) كانت تمثل الدرجة الأخيرة فى التحول الكيفى فى مسيرة الحضارة البشرية.بين المنهج الاسلامى والمنهج الجاهلى:وهنا بالضبط كانت الانعطافة الكبرى، فبلغت المسيرة رشدها، وبدأت الحضارة حركتها الحقيقية، وعاد الانسان يعيش انسانيته مقراً ان الناس سواسية كأسنان المشط، على عكس ما كان يعتقد به الفلاسفة القدامى كأرسطو الذى كان يصرح ان الناس لا يمكن ان يكونوا سواسية، فهم على اقسام؛ فمنهم من ليس ببشر وانما خلقهم الله بالصورة الآدمية لكى يخدموا الآخرين من الطبقات العليا.والى اليوم نلاحظ ان هذا التقسيم غير الطبيعى مايزال سائدا فى بعض البلدان؛ ففى الهند – مثلاً – نجد شريحة كبيرة من الناس يطلق عليها اسم (المنبوذون) تعيش فى حالة يرثى لها من الجهل، والتخلف، والفقر، والحرمان، والأسوأ من ذلك ان احداً منهم لايجرؤ على انقاذ نفسه من هذا الواقع المزرى لاعتقاده بانه منبوذ حقاًوراح البعض يميز بين جنس الرجل، وجنس المرأة؛ اذ كان اغلب الفلاسفة يعتقدون ان المرأة ليست من جنس الرجل، وانها من جنس ادنى منه، وان الله – تعالى – قد خلقها لتخدمه، وهذه المعتقدات وما شاكلها تسربت الى بعض الديانات مما سبب انحرافها – كالديانة اليهودية مثلاً – حتى صار اصحابها يعتنقونفكرة العنصرية ليجعلوها شعاراً لمحاربة الشعوب.

خلفية جاهلية

وحتى أولئك الذين يدعون التقدم والحضارة فى عالمنا المعاصر لايعترفون هم ايضاً بالآخرين، لان خلفيتهم الفكرية خلفية جاهلية، ولانهم لم يتبعوا القيم الالهية، ومن هنا ندرك حقيقة ان الحضارة الحقيقية لايمكن ان تكتمل الا فى ظل رسالات السماء التى تؤدى الدور الفاعل فى استثارة دفائن العقول، واستخراج خزائنها، واذا بهذه العقول المدسوسة فى تراب الخرافات والاساطير تنشط، وتأخذ بالاشعاع فى الآفاق الواسعة.وكلما تحرر العقل شحذت العزيمة، وتوفرت النية الخالصة حتى يصبح الانسان قادرا على اتخاذ قراره بنفسه، ذلك ان قيمة الانسان بقراره، فالانسان الذى يخضع لكل من هب ودب سرعان ما ينهار امام أى تحد قد يواجهه فى حياته.ان الانسان الحر يمكنه ان يتحدى كل الحتميات الاجتماعية والجنسية بل وحتى الحتميات التأريخية، صحيح ان هناك عوامل تأريخية قد يكون بعضها ثابتاً، إلا إن الانسان مع ذلك يكون فوق التأريخ بارادته، فبإمكانه انه يوقفه ليصنعه من جديد، وهذه هى الفكرة الثورية التى تستطيع ان تجعل الانسان يقفز قفزات واسعةلتحقيق تطلعاته الكبيرة.ومن خلال تحقيق هذه الفكرة تمكن الاسلام من مد نفوذه على اكبر مساحة من الارض، وفى اسرع وقت، ونحن نلمس ذلك فى شخصية رسول الله (صلى الله عليه وآله) الذى تحدى كل الحتميات الجاهلية التى كانت سائدة آنذاك، فأثار العقول بعد ان كانت خامدة، واعاد للنفوس حيويتها بعد ان كانت ميتة، والغى العصبيات، والاعتداءات، والاحقاد، والبغضاء بعد ان كانت متأججة، وأرسى فى صفوف الأمة المحبة، والوئام، والالفة والانسجام، وكان ذلك ديدنه حتى آخر لحظة من حياته الشريفة، إذ كان (صلى الله عليه وآله) ينادى ملك الموت قائلا ": شدد علىَّ وخفِّف على أمتى " رحمة بها، ومحبة لها. وهذه هى بعض تجليات رسالة النبى (صلى الله عليه وآله).

منهاج النبى علاج مشاكلنا

ولو نشأت الامة حقا على منهاج الرسول الاعظم (صلى الله عليه وآله)، وعاشت سيرته المباركة لما كانت اليوم تعانى من أية مشاكل تذكر، إلا انها لما صارت تعيش الغربة عن واقع رسالتها، ولم تكرس قيمها الاسلامية فى واقعها، فمن الطبيعى ان يأتى الحكام الطغاة ليتسلطوا عليها، وينفذوا الادوار الاجرامية ضدها، فلو كان مجتمعنا محمديا قرآنيا لما فسح المجال لاى طاغية ليعيث بمقدراته، ويتسلم مقاليد اموره رغما عن ارادته، فالمجتمع المحمدى هو مجتمع المسؤولية، والوحدة، والحب والتعاون والتكافل، ومجتمع التحدى

والشهادة.ولذلك ينبغي علينا ان نبنى مجتمعا صلبا ايمانيا صادقا يتحدى كل من تسول له نفسه ان يصنع من نفسه دكتاتورا يتسلط على رقاب الشعوب المسلمة.

المسلمون و خطر الابادة

ان المسلمين يواجهون اليوم خطر الابادة فلا مجال للجدل فى بعض القضايا الهامشية، كما انه لا مجال للعمل البطىء المتعثر فى هذه الفترة، فهذا الظرف يتطلب عملاً جادا ودؤوبا، ومن اجل ان نرتفع بالساحة الاسلامية الى مستوى التحدى والتصدى؛ ارى ضرورة العمل بالارشادات والوصايا التالية:١- لنسع من اجل صنع دوائر ايجابية يتداخل بعضها مع بعض كالموجة التى تنطلق من وسط دائرة ليتسع مداها الى الدوائر الاوسع، فلا يجوز لنا اليوم نحن ابناء الحركة الاسلامية ان ننعزل وننكمش على بعضنا، وليرحب كل واحد منا بأى انسان يمد له يد العون لانقاذ بلاده وشعبه، ولنبدأ جميعاً بفكرة جديدة وانطلاقة جديدة، صحيح ان هناك نقاط اختلاف ولكننا عندما نجد نقاط الوفاق، وعندما نستطيع ان نتمحور حولها، ونعتمد عليها، فان هذا يعنى ان نقاط الخلاف ستنفعنا فى مجالات كثيرة، خصوصاً إذا عرفنا ان من طبيعة المجتمع انه يعيش ادواراً مختلفة من حيث الطبقات، والجنسيات، والتوجهات...٢- كل عمل يسهم فى إضعاف انظمة البغى والجور، ويساعد على تنمية قوى المعارضة هو عمل مقبول علينا ان نشجعه.٣- ضرورة العمل فى الساحة الجماهيرية دون التقوقع فى الدوائر المنفصلة عنها، فلا يخفى ان قيمة الحركات الاسلامية تتجلى فى التواصل مع الجماهير، وابداء الخدمات لهم، فلابد من ان ندخل اوساطهم من خلال استشارتهم، والاستماع الى افكارهم، وان نطرح عليهم فى نفس الوقت نظرياتنا وافكارنا ومن الممكن ان يتحقق ذلك بواسطة عقد الندوات والمؤتمرات وغيرها مما تسمح به ظروف كل حركة اسلامية.ان على المتصدين للقضايا الاسلامية ان يفسحوا المجال للجماهير لابداء آرائها، وما يختلج فى صدورها، فان الآثار الايجابية لذلك ستنعكس على ساحة العمل بصورة واضحة، ومن هذا المنطلق يجب ان نعطى الجماهير دورها الطبيعى فى الحياة ليتعلموا كيف يبادرون الى استعادة حقوقهم المسلوبة، والدفاع عنها..

الحوزات العلمية و ضرورة التطوير

وفى هذا الاطار اوجه حديثى الى الحوزات العلمية بالقول ان التقدم التقنى، وتنامى التحديات الفكرية يستدعيان من العلماء ان يلاحظوها بافكارهم ونظرياتهم، ومثل هذا الأمر لايمكن ان يتحقق إلا اذا برمجنا مناهج الحوزات العلمية برمجة حديثة وفق تطورات العصر إذ ليس من المعقول ان نبقى جامدين على البرامج السابقة.ان الحوزات العلمية بحاجة الآن الى دم جديد، وانبعاثة جديدة، فالحوزة التى لايدرس فيها الطالب الاقتصاد، والسياسة، وسبل مقاومة الطغاة والمستكبرين، لايمكن ان تسمو فى سماء التكامل.وفى هذا المجال كتب أحد الفلاسفة الغربيين فى كتابه (الامام الصادق عقل الفكر الشيعى) يقول: ان الامام الصادق (عليه السلام) لم يورث الشيعة مالاً، ولا سلطة، وانما اورثهم منهجية سليمة لتعلم العلم، فالامام الصادق بقى وبقى من ورائه التشيع مستمرا فى تحدى المتغيرات، وتتجلى هذه الحقيقة اكثر عندما نجد علماء الاسلام تلهج السنتهم على مر التأريخ بذكر الامام الصادق (عليه السلام) عندما يتباحثون فى مختلف ابواب العلم.

دعوة للتجديد

انها دعوة مفتوحة لكل العلماء والفقهاء والمفكرين للعمل عليتطوير برامج الحوزات العلمية لكى تكون حقاً جهاز دعوة وتبليغ فى سبيل الله - عز وجل -، وقد يقول البعض انه قد تم بعض التغيير فى المناهج الحوزوية قبل عشر سنوات، وانا أؤيد ذلك ولكن لابد من احداث تجديد كل عقد من الزمان مع المحافظة - طبعاً - على الموضوعات الاساسية، اما المتغيرات فلابد من ان تتخذ طريقها الى

عقول الموجهين، ثم منهم الى الجماهير، كمال قال - تعالى - فى سورة الاحزاب وهو يصف الرسول ومناهجه، ودوره فى توجيه الناس:(يَآ أَيُّهَا النَّبِيُّ اِنَّآ أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً - وَدَاعِياً اِلَى اللَّهِ بِاِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُّنِيراً) (الاحزاب / ۴۵ - ۴۶).

مبدد الظلمات و محطم الحواجز

اشاره

ماهى الظلمات التى بددها فجر الرسالة الاسلامية، وماهى الصراعات التى اطفأت نارها بعثة النبى (صلى الله عليه وآله) فى غار حراء، ولماذا كان الرسول سراجاً منيراً، وبماذا بشر الله - عز وجل - المؤمنين الذين يتبعون هذه الرسالة؟؟هذه تساؤلات لابد ان نتدبر فيها، ونعمل الفكر من أجل الاجابة عليها، ولا يكفى فى هذا المجال ان نقرأ القرآن قراءة عابرة، ونسلم تسليما قلبيا بما جاء به دون ان نعرف ابعاده وآفاقه، ودون ان نستوحى منه افكارا نتبصر فيها لعلها تكون لنا معراجا ووسيلة الى الله - سبحانه -.

المعرفة شرط اول

هناك مسافات شاسعة وواسعة تفصلنا عن رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وأهل بيته (عليهم السلام)، فنحن ما نزال نجهل مقامهم، وواجبنا اتجاههم، وبالتالى فاننا إذا بقينا على هذه الحالة، وارتحلنا عن الدنيا ونحن نجهل اهمية قادتنا، فعلينا ان لا نأمل ان نكون فى يوم القيامة ممن تنالنا شفاعتهم، وممن يجالسهم ويحاورهم فى الجنة، ذلك لان المعرفة هى الشرط الأول، فعندما لا تعرف شخصاً ما فكيف تحترمه وتحبه وتتبعه، وكيف ترجو ان يكون لك شفيعاً وصاحباً؟!ان تلك الظلمات التى كانت سائدة على البشرية لم تكن ظلمات الفقر والمرض والتخلف والجهل، بل كانت ظلمات اعمق من ذلك، هى الجذور الاساسية لمثل هذه الظلمات. انها ظلمات العلاقات بين الناس، فهذه العلاقات لم تكن قائمة على اساس فطرى سليم، بل كانت علاقات قائمة على الظلم والاستكبار والاستعباد والتفرقة العنصرية.ان هذه العلاقات هى الأهم فى حياة الانسان، فهو عندما ينظر الى الآخرين نظرة سليمة، ويؤمن انهم اخوان له فى الدين، او نظراء له فى الخلق، فحينئذ سوف تصلح وتستقيم سائر مواقفه منهم. اما إذا فسدت هذه العلاقة، وهذه الفطرة فان المواقف الأخرى سوف تفسد بدورها، وهذه هى الظلمات الحقيقية التى يشير اليها القرآن الكريم.ان الفلسفات البشرية القديمة والحديثة لا يمكن ان تكون قائمةإلّا على هذه العلاقة الشاذة؛ أى علاقة العبودية والاستعباد. فنحن لو القينا نظرة فاحصة على هذا العالم فى عصوره القديمة والحديثة لرأينا ان علاقة الناس بعضهم ببعض انما هى علاقة الذئب بالشاة، فالجزيرة العربية كانت قائمة على اساس الفروق القبلية والعنصرية، وكانت هذه الفروق تثير الحروب والصراعات المستمرة الطاحنة، وقد كانت هذه الحروب والصراعات انعكاسا للثقافة الجاهلية المسيطرة على النفوس والاذهان آنذاك، وهذه هى الظلمات التى جاء الاسلام لازالتها.

عادت الظلمات من جديد

وقد سيطرت هذه الظلمات مرة اخرى على البشرية خلال القرن الخامس عشر وحتى السابع عشر، فقد كانت هذه القرون قرونا مأساوية فى حياة الانسانية، فأصبح تأريخ الانسان مجرد حالة من التناحر الذى يعرف اليوم بالحرب الخفية بين الشمال والجنوب، وقد قسمت هذه الحروب البشرية الى قسمين؛ قسم يسمى ب (الدول المتقدمة) وآخر ب (الدول النامية او المتخلفة).ترى لماذا لم تستطع البشرية رغم مرور قرون طويلة، ورغم الجهود التى بذلتها وثوراتها وانتفاضاتها ان تبلغ التقدم، فبقيت تلك البلدان متخلفة بل وازداد تخلفها هذا، فى حين ان الدول المتقدمةازدادت تقدما وقوة؟السبب فى ذلك يكمن فى ان الغرب يؤمن بفلسفة مزيجة من الفلسفة الدينية المستوحاة من التوراة والانجيل، والفلسفة اليونانية والرومانية المستوحاة من التصورات البشرية.

من مظاهر الظلمات المعاصرة

ان الغرب بدأ يفكر بشكل آحادى اعتبارا من تلك القرون، فأخذ يتجه نحو الفلسفة المادية البعيدة عن المسحة الروحية، والقيم الايمانية، وعندما ترسخت هذه الفلسفة فيه بدأ باستعمار الشعوب ونهبها بشكل منظم؛ ففى خلال قرنين من الزمان استطاعت البلدان الغربية ان تسرق من اميركا اللاتينية ومن بعض الدول فى آسيا الكثير من ثرواتها، وهكذا استطاعت تلك البلدان المستعمرة ان تنهب كل ما فى البلدان الفقيرة من ثروات.وعلى سبيل المثال فقد اختطفت البلدان الغربية من افريقيا ما يقرب من مائة مليون انسان، وهنا يحق لنا ان نطرح هذا السؤال: ماهى الاسباب التى دفعت البلدان الغربية الى تلك الممارسات اللاانسانية؟ انها بالتأكيد الافكار الظلماتية والجاهلية التى جاء نبينا محمد (صلى الله عليه وآله) للقضاء عليها، واقتصاص جذورها. انها الافكار المادية التى انتزعت منها القيم الانسانية، والسماوية، والمصائب والمآسى والويلات التى نجدها اليوم فى البلدان الاسلامية هى من افرازات تلك الافكار الجاهلية التى صدرها الغرب إلينا.ان هذا التخلف هو نتيجة ذلك الانعطاف الخطير فى تأريخ البشرية؛ والمتمثل فى تقسيم العالم الى بلدان متقدمة، وبلدان متخلفة، وقد بعث النبى (صلى الله عليه وآله) لمحاربة هذه الظاهرة الطبقية كما تشير الى ذلك بوضوح الآيات التالية من سورة الأحزاب:(الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَداً اِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيباً - مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيماً - يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً - وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا - هُوَ الَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَآئِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِنَ الظُّلُمَاتِ اِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً - تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْراً كَرِيماً - يَآ أَيُّهَا النَّبِىُّ اِنَّآ أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً - وَدَاعِياً اِلَى اللَّهِ بِاِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُّنِيراً - وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِاَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيراً) (الاحزاب / ۳۹ - ۴۷).

سبيل الخروج من الظلمات

والآيات الكريمة السابقة جاءت لتؤكد على أن الظلمات التيعاشتها البشرية ماهى إلّا ظلمات التمييز العنصرى، والفروقات الطبقية فنحن لا نستطيع ان نغير التأريخ، ونبدأ انعطافا جديداً إلّا من خلال مقاومة هذا الفيروس الخطير؛ فيروس الرؤية الطبقية والعنصرية الى الناس، وإذا ماتمكنا من ان نقضى على هذه الجرثومة قضاءاً مبرماً فان هذا يعنى اننا سنستطيع بحول الله - تعالى - ان نبدأ المسيرة المباركة، ونسير فى الاتجاه المعاكس للتيار المنحرف الذى يجرف البشرية الآن.ونحن إذا ما رأينا ان البلدان المتخلفة لم تستطع خلال قرون طويلة من الثورات والمحاولات ان تغير المعادلة السائدة فى العالم، فالسبب يكمن فى ان شعوبها لم تحاول ان تغير ما فى نفسها، ولان العلاقة بين ابناء شعوب هذه البلدان كانت ذات العلاقة بين الدول الغنية والفقيرة.ونحن كتجمع ايمانى فان مراكزنا العلمية، ومعاهدنا الدينية يجب ان تكون هى المنطلق. فهى محافل القرآن، والامكنة التى تسودها الاجواء الايمانية، وبعبارة اخرى فان غار حراء الذى انطلقت منه الرسالة الاسلامية السمحاء يتجسد اليوم فى هذه المراكز والمعاهد شريطة ان تستقبل نور الوحى، وتتجاوز الذاتيات والانانيات والتمايزات، وفى هذه الحالة فاننا سنستطيع ان ننشر نور الاسلام فى جميع ارجاء العالم، وإلّا فان مآسينا ومصائبنا ستبقى كما هى ان لم نقل انها ستزداد سوءً ووخامة.

الرؤية العنصرية كفر

ان مجرد الاعتراف بالفروق والعنصريات هو كفر بما جاء به نبينا محمد (صلى الله عليه وآله)، وانا اذكر فى هذا المجال انه عندما بدأت الجوازات والجنسيات بالصدور فى البلدان الاسلامية فان فقهاؤنا (رحمهم الله) بادروا الى الافتاء بحرمة اقتناء المسلمين لهذه الوثائق التى تكرس الاختلافات والتشتت فى جسد الأمة الاسلامية الواحدة، حتى انهم افتوا بحرمة الحج إذا كان يقوم على الجواز

والبطاقة الشخصية.ان الاسلام استطاع فی العصور الماضية ان يخلق ارضا اسلامية واحدة تضم الفلبين والنيجر، ويوغوسلافيا والنمسا، والجزائر والمغرب، وبلاد الهند والسند، ولكن اين هذا الاسلام اليوم؟ ان العالم الاسلامی مجزأ الی أكثر من ثلاثين بلدا، وفی كل بلد عدة اقاليم، وفی كل اقليم الكثير من النعرات الطائفية والعنصرية...إذا لم تستطع القيادة النبوية ان توحدنا، ولم يكن بمقدور هذه الراية المباركة ان تصهرنا فی بوتقة واحدة فماذا يعنی انتماؤنا اليها، وادعاؤنا الانضواء تحتها؟ انه خداع ذاتی ان تحضر – مثلا – محفلا يذكر فيه اسم الرسول (صلی الله عليه وآله)، وتصلی فيه عليه، ولكن يوجد بينك وبين اخيك حاجز من الحواجز الطائفية أو العنصرية وما الی ذلك من الاعتبارات المادية الضيقة!

مقياس الإيمان الحقيقی

علينا اليوم ان نبدأ بتحطيم هذه الحواجز تماما كما فعل النبی (صلی الله عليه وآله)؛ فالمجتمع المدنی الذی اسسه (صلی الله عليه وآله) كان مجتمعا صغيرا ربما لم يكن عدد افراده يتجاوز عشرة آلاف انسان، ولكنه انموذجا للمجتمع الاسلامی الكبير الذی بشر به النبی (صلی الله عليه وآله)، والذی استوعب بالفعل الشرق والغرب، والشمال والجنوب.ونحن ايضاً يجب ان نجعل من تجمعاتنا الصغيرة مثالا لتلك التجمعات التی نبشر بها، ونأمل ان تتشكل فی المستقبل القريب. وهذا هو المقياس الحقيقی لمدی ايماننا بقيادتنا النبوية، وإلا فمن يصدق الادعاءات التی نطلقها فی هذا المجال؟ فنحن ندعی ان اميركا و البلدان الغربية تستضعفنا، و لكننا فی الحقيقة نعتبر (اميركا) بالنسبة الی من هم دوننا، فنحن بدورنا نعتبر مستكبرين بالنسبة الی الجماعات الاخری التی هی دوننا فی القوة والقدرة والنفوذ.ان الله – عز وجل – يقول فی محكم كتابه الكريم:(وَكَذلِكَ نُوَلِّی بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضاً) (الانعام / ۱۲۹).ترى لماذا يولی الله – سبحانه – الظالمين على بعضهم البعض؟ السبب فی ذلك ان الظالم يظلم من دونه، فمن الطبيعی ان يسلط عليه من هو اقوى منه.

الانتماء المزدوج سبب المشاكل

ولذلك نجد ان الخالق – جلت قدرته – يؤكد فی بداية سورة الاحزاب على هذه الفكرة التی تتضمنها الآية الكريمة التالية:(مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِن قَلْبَيْنِ فِی جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِی تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِی السَّبِيلَ) (الاحزاب / ۴).وبعبارة أخرى فان الانتماء المزدوج هو الذی يسبب هذه المشاكل، فيجب – اذن – ان تكون هناك رؤية واحدة، وانتماء واحد، وحركة واحدة فی التأريخ، ولذلك يقول – تعالى –:(الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَداً إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيباً) (الاحزاب / ۳۹).ان هذه الخشية التی تتركز فی اتجاه واحد، انما تنصب وتتمثل فی خشية الله – سبحانه وتعالى – وحده.

وحدة القيادة الالهية

ثم يضيف السياق القرآنی الكريم قائلا: (مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِن رِّجَالِكُمْ)؛ اى ان صلتكم بالنبی (صلی الله عليه وآله) ينبغی ان تكون صلة واحدة، ثم يبين – تعالى – حقيقة وحدة القيادة الالهية فی قوله: (وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَیْءٍ عَلِيماً – يَآ أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً – وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا).وإذا وصلنا الى هذا المستوى؛ مستوى التوحد والذوبان فی بوتقة الايمان، فهناك تنزل علينا الصلوات من ربنا: (هُوَ الَّذِی يُصَلِّی عَلَيْكُمْ وَمَلَآئِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيماً).وعندما يخرجنا الخالق – تعالى – من الظلمات الى النور، ومن اجواء الثقافة الجاهلية، الى احضان الثقافة الايمانية النورانية، فحينئذ سنعيش فی الآخرة فی دار الأمن والسلام كما وعدنا الله – جل وعلا – بذلك فی قوله:(تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْراً كَرِيماً).

منطلق الوحدة

اشاره

ان الوحدة الاسلامیة التی تستند الی کتاب الله – تعالی – وقیادة رسوله (صلی الله علیه وآله) وأهل بیته (علیهم السلام) الذین هم الامتداد الطبیعی له، هی الوحدة المتمسکة بحبل الله والمعتصمة بعروته الوثقی؛ فهذا الحبل هو الذی یشد الطاقات الاسلامیة ویجعل منها کتلة متراصة وبناءاً متماسکاً. وهذا الحبل المتین یتمثل – کما قلنا – بکتاب الله وشریعته المقدسة، والنبی (صلی الله علیه وآله)، ثم الأئمة (علیهم السلام) هم الذین یعملون علی تطبیق احکام وتعالیم الکتاب والشریعة.

مولد الرسول مناسبة للوحدة

ومن وحی هذه الفکرة فاننا نتخذ من ذکری ولادة رسولنا الاعظم محمد (صلی الله علیه وآله) مناسبة للوحدة، فنحتفی فیها بتلک الاصول الواحدة الثابتة التی تجمع طوائف المسلمین، وتجعلهم یداً واحدة ضد اعدائهم، وتجعل ذمتهم ذمة واحدة یسعی لها ادناهم، وتحیل اهدافهم الی اهداف مشترکة او بالاحری اهداف واحدة.ان الله – سبحانه وتعالی – شاء ان ینصر المؤمنین، وینصر کتابه المقدس بهم جاعلا النصر الثانی شرطا للنصر الاول فقال فی محکم کتابه الکریم: (إِن تَنصُرُوا اللَّهَ یَنصُرْکُمْ وَیُثَبِّتْ أَقْدَامَکُمْ) (محمد / ۷)، وهاهی ذی جماهیرنا المسلمة تهب فی کل الآفاق لنصرة کتاب الله مضحّیة بکل غال ونفیس من اجل تحقیق هذا الهدف السامی. فهاهو ذا نصر الله آت، وکل آت قریب.

الوحدة لیست شعاراً یردد

ان علینا الیوم ان لا نکتفی بتردید شعار الوحدة، بل علینا ان نعمقها فی کل بعد من ابعاد حیاتنا، فهی تعنی اولا وقبل کل شیء نبذ کل اسباب الخلاف، والاعراض عن الاهداف الضیقة المحدودة التی تعرض وحدتنا للخطر، ونبذ المصالح والانانیات التی هی بمثابة السکین التی تطعن المسلمین فی خاصرتهم، وتحولهم الی فرق شتی.ثم علینا بالاضافة الی ذلک ان نرکز اهتمامنا علی ذلک الهدفالواحد وهو اقامة حکم الله فی الارض معتصمین بحبل الله المتجلی فی القرآن والرسول (صلی الله علیه وآله)، وبعد ذلک یتعین علینا ان نتجه الی انفسنا والی فئاتنا المختلفة لنربط بعضها ببعض فی وحدات صغیرة تکبر شیئا فشیئا حتی تصبح الامة جسدا واحدا من ادناها الی اقصاها.

بالحق یعرف الرجال

ان علینا ان نعرف الحق، ثم نقیّم الرجال به بعد ذلک، فالحق الذی یعرف به الرجال تعرف به ایضا الانظمة والاقوال والادعاءات، وهو الذی تهدینا الیه فطرتنا وعقولنا وهدی کتابنا وسنة رسولنا (صلی الله علیه وآله)، وهذا الحق هو نداء الوحدة. اما ما یطلقه هذا وذاک من اقوال تفرق المسلمین، وتعمل من اجل تقسیمهم الی فئات واحزاب متناحرة سواء باسم الطائفیة ام العنصریة ام القومیة... او باسماء اخری ما انزل الله بها من سلطان، فانها لیست إلّا اصناماً تعبد من دون الله.

اسباب الوحدة قائمة

وعلینا فی هذا المجال ان نتذکر دوما ان المسلمین کانوا وما یزالون تشدهم الی بعضهم اسباب الوحدة، وعوامل الاتحاد اکثر مما

تفرقهم عوامل الشقاق والنفاق والاختلاف. و على الرغم من ان الاختلاف طبيعى بين البشر، وان الله – تبارك وتعالى – قد خلق بنى آدم مختلفين عن بعضهم، وجعل لكل انسان موقعا خاصا ينطلق منه، وجعل له اسلوبا ومنهجا يتمسك بهما، إلا أن اسباب الوحدة ما تزال كثيفة ومركزة فى اوساط الامة بحيث لا تدع لأبواق الضلالة وعوامل النفاق سبيلاً تنفذ من خلاله فى ضمير الامة.وعلى سبيل المثال فاننا عندما نتأمل مهرجان الحج، والامواج البشرية المتفاعلة فيه قادمة من كل فج عميق، فاننا سنشاهد بوضوح تلك الوحدة الحقيقية العميقة الجذور التى لا تستطيع عوامل التفرق ان تنال منها، او تحدث فيها اى خلل؛ فالطواف حول الكعبة هو رمز التمحور حول الحق، والابتعاد عن المحوريات الباطلة، كما ان الإصحار بعرفات فى ثوب واحد مشترك، ولاقامة مشاعر مشتركة واحدة هو رمز لتلك النفوس التى تصارح بعضها بعضا، كما ان الصلاة باتجاه القبلة، واداء الزكاة والصيام، والتمسك بسنة رسول الله (صلى الله عليه وآله) كل ذلك يمثل عوامل للوحدة لا اسبابا للنفاق والشقاق..

مثيرو الاختلافات عاجزون

واما الذين يريدون ان يسلطوا الاضواء على بعض الخلافاتالتأريخية، او الخلافات الطبيعية بين البشر، واولئك الذين يريدون ان يضخموا الاختلافات فى اللون او الشكل او اللغة او الاقليم فان هم الا فى ضلال مبين، ومحاولاتهم هذه تشبه الى حد كبير ذلك الذى ينفخ فى الشبك، او يرسم على الماء، فماذا عساهم يفعلوا ضد هذا الدين المقدس الذى قاوم كل تحديات الفرقة عبر اربعة عشر قرنا رغم الشهوات والاهواء والمصالح، ورغم الضغوط الحضارية؟ وماذا عساهم ان يصنعوا بهذه الامة الواحدة التى امتزجت دماؤها بهدى السماء ونور القرآن الكريم؟ وهل ستنجح محاولاتهم من أجل تحريف مفاهيم القرآن هذا الكتاب الذى ترسخت آياته فى قلوب مئات الملايين من المسلمين فى انحاء الارض؟!

الزبد يذهب جفاءاً

ان القرآن الكريم يوجه الفكر والعقل، ويبرمج الحياة برمجة واحدة بالنسبة الى الجميع، اما القشريون الذين لا يرون إلا زبد الحياة، والغثاء العائم فوق سيلها المندفع، والذين يريدون ان يضخموا بعض الخلافات، فانهم لا يأخذون بنظر اعتبارهم قول الله – جلت اسماؤه –: (فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى الأَرْضِ) (الرعد / ۱۷).فلنكن على ثقة بان هذا الزبد سيذهب ويزول كما زالت امثاله فى تأريخنا المديد، وكما انمحت كل عوامل التفرقة. ولنتخذ من حياة الرسول (صلى الله عليه وآله) هدى، ومن كتاب الله حبلا نعتصم به، ونتمسك ببرامجه ومناهجه، ولنبدأ بتزكية انفسنا، وتربيتها على اساس حب المسلمين جميعا لكى نكون اذلة على المؤمنين، اعزة على الكافرين، ولنعش فى اجواء الحق متمحورين حول القيم المقدسة، ولنعمل على تكوين الخلايا الموحدة حتى تصبح الامة الاسلامية امة واحدة، ويتحقق قول – عز من قائل –: (إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَاْ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ) (الأنبياء/ ۹۲).

النعمة الكبرى والمنة السابغة

اشاره

عندما خلق الله – سبحانه وتعالى – البشر، اراد ان يجعل لهم نعمة سابغة تتمثل فى هداية الانسان الى ارفع مستوى، ولقد شاء – عز وجل – ان يختار من بين ابناء آدم (عليهم السلام) نبينا محمد (صلى الله عليه وآله)، ومن اجل هذا النبى العظيم، ومقامه الرفيع أسجد الخالق – عز وجل – جميع ملائكته لآدم (عليه السلام).

الأمة المختارة

وبفضل هـذا النبی اراد – تعالی – ان یجعل المسـلمین الامة المصـطفاة والمختارة من بین الأمم من خلال توفیقهم الی ان یمدوا سـلطة الاسـلام علی الکرة الارضـیة، وسوف یظهر – تعالی – دینه علی ایدیهم، فلقد شاءت قدرته ان یجعل هذه الأمة الشاهدة والشهیدة علی أهل الأرض جمیعاً.لقد احب الله – جلت قدرته – ان یتجلی لخلقه بعد ان کان کنزا مخفیا، فخلق نور محمد (صـلی الله علیه وآله) هذا النور الذی اشـرقت به السماوات والأرض، والذی کان سبب وفلسفة وحکمة الوجود، فلولاه (صلی الله علیه وآله) لما خلق الله – تعالی – الافلاـک.وعنـدما کان النبی (صـلی الله علیه وآله) اقرب شـیء الی مقام ربه عنـدما کان قاب قوسـین او أدنی، قال له جبرائیل (علیه السـلام): والله لئن تقدمت قید انملة لاحترقت. فی حین ان نبینا (صلی الله علیه وآله) تقدم الی مقام ربه مسافات لا یستطیع ان یتصورها الوهم والخیال.

منة الله علی البشریة

لقـد شاء – تعالی – ان یمن علی البشـریة فبعث منها رسولا لیضع عنهم اصـرهم والاغلال التی کانت علیهم کما تصـرح بذلک الآیات التالیـة:(الَّذِینَ یَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِیَّ الاُـمِّیَّ الَّذِی یَجِدُونَهُ مَکْتُوباً عِنـدَهُمْ فِی التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِیـلِ یَأْمُرُهُم بِـالْمَعْرُوفِ وَیَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْکَرِ وَیُحِـلُّ لَهُمُ الطَّیِّبَـاتِ وَیُحَرِّمُ عَلَیْهِمُ الْخَبَآئِثَ وَیَضَعُ عَنْهُمْ إِصْـرَهُمْ وَالاَغْلاَلَ الَّتِی کَانَتْ عَلَیْهِمْ فَالَّذِینَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَـرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِی أُنْزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِکَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ – قُلْ یَآ أَیُّهَا النَّاسُ إِنِّی رَسُولُ اللّهِ إِلَیْکُمْ جَمِیعاً الَّذِی لَهُ مُلْکُ السَّماوَاتِ وَالاَرْضِ لآ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ یُحیِی وَیُمِیتُ فَـاَمِنُوا بِـاللّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِیِّ الاُـمِّیِّ الَّذِی یُؤْمِنُ بِاللّهِ وَکَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّکُمْ تَهْتَـدُونَ). (الاعراف / ۱۵۷ – ۱۵۸).وهکذا بعث النبی (صلی الله علیه وآله) لیرفع هذه الاغلال، ویحرر البشریة من حب المادة، ومن جاذبیة الأرض، ولینطلق فی آفاق التقدم، وإذا لم یکن بمقدور الانسان ان یکون مثل النبی فی الرقی الاخلاقی والروحی، فلیکن مثل سـلمان الذی قال النبی (صلی الله علیه وآله) فی حقه عندما اختلف المسلمون بشأنه ": سلمان منا أهل البیت [" ۲۷] .

قیود الأنظمة

ان هـذا التقـدم کان نتیجة التخلص من الاصـر والاغلال، وهذه القیود والاغلال تتجسد فی قوانین وانظمة هدفها تقیید الانسان، فهناک الکثیر من المحـدودیات والاغلاـل المفروضـة علی الانسان من قبل الانظمـة الفاسـدة سواء فی العصور القدیمـة ام فی عصـرنا الراهن، والرسول (صـلی الله علیه وآله) لم یأت لهـذا الغرض صدفة، فلم یکن من المصادفة ان تقع حوادث غیر طبیعیة عند ولادة النبی (صـلی الله علیه وآله) من مثل انطفاء نیران المجوس، ومنع الجن والشیاطین من العروج الی السماء، واستراق السمع، ان هذه التطورات لم تکن إلا بدایة منعطفات خطیرة ستشـهدها البشـریة مسـتقبلاً.ویحدد لنا الله – تعالی – فی الآیات الکریمة السابقة المقتطفة من سورة الاعراف مـا یجب ان نفعله تجـاه شخصـیة النبی (صـلی الله علیه وآله)، ففی هـذه الآیـات یـذکر – عز وجـل – نعمه علی الانسـان عـبر الرسول والرسالة، فهناک مزایا انعم بها الخالق علی الانسانیة من خلال الرسول سواء تجسدت هذه النعم فی شـخصه أم فی الرسالة، فهو (صلی الله علیه وآله) رسـول جـاء برسالـة، وهو لایتصـرف وفق هواه کمـا یقول – تعـالی –: (وَمَـا یَنطِقُ عَنِ الْهَوَی – إِنْ هُوَ إِلاَّـ وَحْیٌ یُوحَی) (النجم / ۳ – ۴).وهو من جهـة ینتمی الی الأمة الاسـلامیة، فهو لا ینتمی الی ارض ولا قوم، ولا الی أی عنصـر آخر، بل هو اسـمی من کل ذلک.

رسول و کتاب و رسالة

وهو من جهـة ثانیـة منفصل عن الثقافـة الجاهلیة، ورواسـبها،واغلالها، وخبائثها، وهو أمی لا یقرأ کتابا، بل هو کتاب بحد ذاته ورسالة،

كما يشير الى ذلك – عز وجل – فى قوله: (النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِى يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِندَهُمْ فِى التَّورَاةِ وَالإِنْجِيلِ) (الاعراف / ۱۵۷).فالتبشير به (صلى الله عليه وآله) كان موجودا فى كل الكتب السماوية وخصوصا فى العهدين المقدسين لدى اليهود والنصارى.وعلى هذا فان منّة الله علينا بمبعث الرسول (صلى الله عليه وآله) عظيمة، وقد وضع – تعالى – لنا برنامجا نفى من خلاله بحق الرسول (صلى الله عليه وآله) علينا، وذلك من خلال الايمان به ونصرة رسالته:(فَالَّذِينَ ءَامَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ) (الاعراف / ۱۵۷).وانها لمكرمة عظيمة عندما ترتفع اصواتنا جماعيا بالصلاة عليه وآله بمجرد ان يتناهى اسمه الكريم الى اسماعنا، فماذا نعنى بالصلاة على النبى وآله؟ان هذه الكلمات تعنى من جهة اننا ندعو الله – سبحانه وتعالى – ان يصلى عليه، وصلاة الله على الرسول هى فى الحقيقة رفع لدرجته ودرجة امته؛ فنحن عندما نقول ": اللهم صل على محمد وآل محمد " فاننا ندعو بصورة غير مباشرة لأمته بالرفعة والمجد والصمود، وعندما نذكر آله الكرام فاننا نعنى بذلك ان المرء انما يكرم فى أهل بيته وفى بنيه، واكرامنا للرسول (صلى الله عليه وآله) يتم عبر تكريمنا لأهل بيته الذين جددوا رسالته، وكانوا امتدادا لشخصيته الكريمة.

التكريم والتعظيم لايكفيان

ثم يستأنف – تعالى – قائلا –:(وَنَصَرُوهُ) (الاعراف / ۱۵۷).فالتكريم والتعظيم لايكفيان لوحدهما بل لاينفعان إذا لم ننصره، ونصرة الرسول (صلى الله عليه وآله) تتجسد اليوم فى نصرة رسالته وخطه.ونحن ينبغى علينا ان لا نرى شيئاً إلّا عبر شخصية النبى (صلى الله عليه وآله)، كما يشير الى هذا المعنى – تعالى – فى قوله: (وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِى أُنْزِلَ مَعَهُ) (الاعراف / ۱۵۷)، ونور الرسول (صلى الله عليه وآله) يتجلى فى القرآن، و سيرته الشريفة التى دعانا الخالق – عز وجل – الى التأسى بها فى قوله – عز من قائل –: (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ اللَّهِ اُسْوَةٌ حَسَنَةٌ) (الاحزاب / ۲۱).ترى كيف نجعل رسول الله (صلى الله عليه وآله) اسوة حسنة لنا؟ ان هذا غير ممكن إلّا من خلال معرفة سيرته، وافعاله، وسلوكه، ومواقفه السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وكيفية ادارته للأمور، وتعامله مع الناس، فجعله اسوة لنا يعنى الاقتداء به (صلى الله عليه وآله).

رسالة متميزة

ان رسالة النبى كانت رسالة مكتوبة، ولذلك فانها متميزة عن باقى الرسالات السماوية، ذلك لان الكتابة كانت قد انتشرت فى الجزيرة العربية بعد انتشار الدعوة الاسلامية، ولذلك فقد تمت كتابة سيرته واحاديثه ومواقفه ومفردات تعامله مع الناس.وفيما يلى ننقل بعضاً من مواقفه، وسلوكياته السامية الرفيعة مع الناس الذين كانوا يعيشون حوله؛ فقد روى اصحاب السيرة انه لم ير مرة يصافح احدا ثم يكون هو البادئ بسحب يده من يد الطرف الآخر، بل كان ينتظر ان يسحب الطرف الآخر يده منه. وفى الرواية عن أبى عبد الله (عليه السلام) قال ": كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يقسّم لحظاته بين اصحابه، فينظر الى ذا وينظر الى ذا بالسوية. قال: ولم يبسط رسول الله (صلى الله عليه وآله) رجليه بين أصحابه قط، وان كان ليصافحه الرجل فما يترك رسول الله (صلى الله عليه وآله) يده من يده حتى يكون هو التارك، فلما فطنوا لذلك كان الرجل اذا صافحه قال بيده فنزعها من يده. [" ۲۸] وكان (صلى الله عليه وآله) محباً للايتام، عظيم العطف عليهم ذلك لانه شب يتيماً، وذاق مرارة اليتم فى حياته.وقد بلغ رسول الله (صلى الله عليه وآله) مستوى من العدالة لم يستطع احد ان يبلغه، وفى هذا المجال يروى انه (صلى الله عليه وآله) فى آخر أيامه عندما اشتد به المرض صعد على المنبر وطلب من المسلمين ان يطالبوه بحقوقهم، فقام رجل وطلب منه (صلى الله عليه وآله) ان يقتص منه وقال انك يا رسول الله قد ضربتنى بعصاك على بطنى فى احد الايام، فقام الرسول (صلى الله عليه وآله) واعطى عصاه لهذا الرجل، فما كان من هذا الرجل إلا ان قبل بطن النبى (صلى الله عليه وآله) بدل ان يقتص منه.ان المواقف الرسالية التى وقفها رسول الله (صلى الله عليه وآله) من جاهلية قريش لتدل على عظمة هذه الشخصية، فلقد استطاع (صلى الله عليه وآله) بهذه الشخصية الفريدة ان يحول تلك الفلول المتناحرة المنتشرة فى

انحاء الجزيرة العربية الى امة واحدة بعد ان كانت مجرد قبائل تتصارع ويقتل بعضها بعضا لسنوات عديدة، وقد استطاعت هذه الفلول التى جمعها رسول الله (صلى الله عليه وآله) تحت راية الايمان والتوحيد ان تفتح الشرقوالغرب ليجعل منها امة ذات حضارة شامخة.

دراسة السيرة النبوية ضرورة

وهكذا فإن السيرة النبوية جديرة بالدراسة، وان عدم دراسة هذه السيرة انما هو اجحاف بحق النبى (صلى الله عليه وآله). فهذه السيرة يجب ان تكتب فى كل سنة مرة على الأقل، وان تصاغ فى كل مرة بما يتلاءم ومتطلبات العصر، وتتأكد هذه الحاجة بالنسبة الى المجاهدين فى كل مكان.ولذلك فان كل انسان رسالى يجب ان يكون فى مستوى وعى ومواجهة الاحداث، وان يأخذ من سيرة الرسول الاعظم (صلى الله عليه وآله) ما يذلل امامه الصعاب، وعلى سبيل المثال فانه (صلى الله عليه وآله) كان قلبه يمتلئ حبا لأمته، فعندما خرج من مكة الى الطائف، ولاقى مالاقاه من اذى وجفاء، ورمى بالحجارة حتى سال الدم من قدميه، فانه مع كل ذلك رفع يديه الى السماء قائلاً ":ولكك العتبى حتى ترضى ولا حول ولا قوة إلّا بك [" ۲۹] .وايضاً فى يوم حنين حينما سقط (صلى الله عليه وآله) اليالارض على أثر ضربة، وقد انكسرت رباعيته، والدم يسيل على حر وجهه، قال ": اللهم اهد قومى فانهم لايعلمون [" ۳۰] .هذا هو الحب العظيم الذى ينبغى لكل انسان رسالى ان يضمره فى قلبه لامته، فعلى الرغم من المآسى التى كان الرسول (صلى الله عليه وآله) يعيشها فى حله وترحاله إلا انه كان يدعو بالخير لقومه، ويرى ان هذا العمل وما يسببه من مآسى ومحن بالنسبة له انما هو قليل فى ذات الله – تعالى –.ان توسلنا بالرسول (صلى الله عليه وآله) يستلزم قراءة التأريخ لمعرفة السيرة النبوية، فاليوم هو يوم الاحزاب، وقوى الكفر والنفاق والضلالة متآلفة الآن ضد المسلمين فى حرب شعواء ضدهم، وعلى شعوبنا ان تستلهم من السيرة النبوية المباركة الزخم الثورى لمواجهة تلك الحرب، ولتعلم هذه الشعوب ان الله – عز وجل – سوف ينصر المجاهدين الرساليين فى كل مكان.ان دراسة السيرة النبوية تمثل ضرورة وخصوصا اذا ازدحمت الاحداث، وضاقت الحياة بالمؤمنين، ومن هنا فان على المفكرين، والعلماء ان يعيدوا صياغة السيرة النبوية بحيث تتلائم مع مقتضيات العصر لان فيها من المرونة ما يوافق وينسجم مع كل عصر ومكان، ومن هنا يجب نبذ الخلافات، وتوحيد الصف، والالتفاف حول راية الرسول (صلى الله عليه وآله) من خلال تنفيذ أوامره، وتعظيمه، وتوقيره، وجعله محور الوحدة الاسلامية، ورمز توحيد الطاقات.

نهج الحياة فى سيرة النبى الأعظم

اشاره

لا أحلى ولا أروع من الحديث عن سيرة نبى الاسلام الأعظم (صلى الله عليه وآله)، لاسيما وإن كان الحديث حديثا يخرج من القلب ليدخل الى القلب؛ لا تحده الحدود ولا تؤطره الأطر، فهو يمتد بامتداد نور النبوة، ويتخلد بخلود الرسالة.ونشير فى هذا الحيز الى مفصل مهم من مفاصل السيرة المحمدية التى تشكل بدورها منعطفا ذا بال فى هذه السيرة. إذ كان الرسول (صلى الله عليه وآله) واقفاً.. ثابتاً بقامته التى ارتفعت فى الفضاء؛ على جبل مشرفاً على هضبات مكة المكرمة، كانت نظراته الوقادة متجهة صوب الكعبة وهى تزهو بجلالتها وعظمتها وقد مضى على حمله الأمانة الإلهية المقدسة ما يقرب من ثلاث عشرة سنة؛ حملت فى كل لحظة من لحظاتها آيات العزم الراسخ والتحدى العظيم والألم الرهيب. كان الرسول (صلى الله عليه وآله) واقفاً يودع بيت الله الحرام؛ فهذه مكة المكرمة؛ اقدس ارض خلقها الله سبحانه وتعالى، واعظم بقعة شرفها الله حيث ولد الرسول (صلى الله عليه وآله) وترعرع، وحيث مهوى افئدة المؤمنين، وحيث محجة الأنبياء والاوصياء، وحيث مهبط الملائكة المقربين. هذه مكة يودعها حبيبها على انفراد.. فى لحظة اختصرت كل ثقل الرسالة وهمومها. فهو عانى الأمرين من أهل مدينته ولم يكن رأى منهم إلا العناد والغرور، ولم يتلق منهم – إلا

القلیل ممن آمن بهم – سوی توجیه التهم الرخیصة، ولقد بلغ بهم حقدهم الأعمی علی رسولهم الرحیم أن وقعوا بالمستضعفین من أصحابه ممن لا ظهیر لهم تعذیبا وتقتیلا، وکان السباقون للقاء الله آل یاسر الذین نکل بهم حتی الاستشهاد، وإزاء هذا المنظر المفجع لم یکن یسع الرسول (صلی الله علیه وآله) إلا ان یحث أصحابه وینفخ فیهم روح التحدی والاستقامة حتی یأتی نصر الله الذی وعده.

معاناة الرسول الأليمة

ولقد یتذکر النبی الأعظم (صلی الله علیه وآله) علی وقفة وداعه الأخیر کیف حاصره مشرکو قریش فی شعب أبی طالب، حاصروه وأتباعه المؤمنین حصارا منعوا فیه الناس من الاتصال بهم واتصالهم بهم، حصاراً اضطروا فیه الی اکل ما تبقی من الأوراقالصفراء فی أشجار الشعب الجرداء؛ إلّا منه!.وفی خضم آلام سنین الحصار الثلاث توفی عم رسول الله (صلی الله علیه وآله) وکفیله.. مؤمن قریش ابو طالب (سلام الله علیه) کما توفیت فی السنة ذاتها زوجته الوفیة خدیجة الکبری أم المؤمنین (سلام الله علیها).وبعد معجزة الأرضة التی یحدثنا التاریخ الاسلامی عنها؛ حیث بعث الله الأرضة لتأکل وثیقة التآمر الجاهلی التی قضت بمحاصرة الثلة المؤمنة فی الشعب المشار الیه وتحریم التعامل معهم، وأخبر جلت قدرته رسوله الکریم بنبأها، فعرض الرسول (صلی الله علیه وآله) التحدی الإلهی للمشرکین، الأمر الذی اضطرهم فیه الی فک الحصار، بعد ان لحقهم الخزی والعار.... وعاد الرسول (صلی الله علیه وآله) الی مکة؛ ولکن دون حمایة من عمه الرؤوف أبی طالب، بل تحت حمایة أعدی أعدائه أبی لهب الذی انتهت زعامة بنی هاشم إلیه آنذاک. ابو لهب الذی کان یبتدع الأسالیب الشیطانیة لایذاء الرسول الأکرم (صلی الله علیه وآله)، وکان حریصا کل الحرص علی تشویه سمعة الرسول وتوجیه التهم الیه فی اوساط القبائل والعشائر القادمة الی مکة واسواقها ومشاعرها، ولقد کان یمشی وراء الرسول (صلی الله علیه وآله) کظله.. کلما مشی الی وفد من الوفود داعیاً إیاهم الی الاسلام والتصدیق به، فکان ابو لهب یأتی الوفد منهم قائلا: ان هذا ابن أخی وانا عمه وهو کذا وکذا، وینسب الیه التهم الرخیصة. ووصل به الأمر ان فوض الأمر لمشرکی قریش لان یدبروا مؤامرتهم الجدیدة التی تستهدف حیاة الرسول (صلی الله علیه وآله) ونفسه، علی ان یضیع دمه الشریف بین القبائل العربیة من قریش وحلفائها.

لحظة الوداع المقدسة

هنا؛ کانت لحظة الوداع، بعد ان عهد الرسول (صلی الله علیه وآله) الی الامام علی (علیه السلام) ان یبیت فی فراشه ومضی الی سبیله باتجاه المدینة، باتجاه إقامة الدولة الاسلامیة، وفتح صفحة جدیدة من صفحات التحدی والجهاد.وحینما وصل (صلی الله علیه وآله) الی تلک القمة ووقعت نظرته الشریفة علی بیت الله الحرام وما حوته أرکانه الشریفة من سنی الجهاد المضنی لثلاثة عشر عاماً، دمعت عیناه وأثقلت الهموم برمتها علی قلبه الطاهر. فما کان من الوحی إلّا ان نزل علیه ب (إِنَّ الَّذِی فَرَضَ عَلَیْکَ الْقُرْءَانَ لَرَآدُّکَ إِلَی مَعَادٍ) (القصص / ۸۵)ای ان ثم عودة الی مدینتک مکللا بالنصر بالعزة. وإذ ذاک اطمأنت نفس رسول الله (صلی الله علیه وآله) فترک مکة میمما وجهه شطر المدینة المنورة. فکانت مراحل تأسیس الدولة الاسلامیة العظیمة بما تعنی من سن القوانین وتنفیذها، وما تعنی من جهاد قل ان شهد التأریخ له مثیلاً. فمن تربیة المؤمنین وتهذیب انفسهم وسلوکیاتهم حتی خوض الغزوة تلو الغزوة الی الوقوف بوجه المنافقین الذین کان خطرهم علی وجه الحتم أشد وأعتی من خطر اعداء ماوراء الحدود.وعلی أیة حال، فان الباحث والمهتم بشؤون سیرة المصطفی (صلی الله علیه وآله) لایقف عند حدث حتی تأخذ بلبه أحداث اخری، ولا یتابع نقطة معینة فی هذه السیرة المبارکة حتی تستهویه نقاط غیرها، قد تکون بدورها اشد الحاحا لإضفاء مزید من الأضواء علیها.

تساؤلات..

والآن یمکننا القول بان ثم تساؤلات کبیرة تفرض نفسها علینا فی هذا الاطار، ولعل الإجابة علیها تدلنا علی السر الأول الذی مکّن

الرسول الأـكرم (صلى الله عليه وآله) لأن يكون الرجل الصالح الأول على مر التأريخ؟ وان يكون قائدا للأمة الوسط، وبانيا لحضارة القبائل العربية المتناحرة؛ الغارقة فى ظلمات الجهل والشرك والخوف والسيف والاغتيال والثأر.. وكيف تحولت هذه القبائل الجاهلة الى أمة اسلامية - بقيادة هذا الرسول الفذ - ذات حضارة عريقة لانزال نحن المسلمين، بل وغير المسلمين من الأمم الأخرى ننعم بظلها بما تمثل من عمق فكرى وعلمى وادبى و.. و..، وماذا كانت لدى الرسول (صلى الله عليه وآله) من وسائل فى عملية بنائه الصرح الاسلامى؟ ونحن الآن بعد ما يزيد على الف واربعمائة عام ماذا يتوجب علينا ان نقوم به حتى نعيد تلك الأمجاد، ونعود الى تلك الحضارة التليدة والتى كان الحاكم يخاطب الغمام: إمطرى.. شرقى غربى فخراجك يأتينى؟ان هذا سؤالاً أو اسئلة لابد من العثور على اجوبة لها لنتمكن بذلك من ان ننقذ انفسنا من هذا الواقع المتخلف ونذهب بها الى واقع آخر.

ركائز العمل القيادى

هناك ثلاثة ركائز اساسية استطاع الرسول القائد (صلى الله عليه وآله) عبرها ان يغير وجه التأريخ، وكلما اردنا ان نعيد الأمجاد الماضية لابد من الالتجاء اليها باعتبار ان معرفتها واستفادة العبر منها تمثل الدواء الناجع لما نصبوا إليه.

اسقاط حجب الشرک

الركيزة الأولى: إن النبى الأعظم (صلى الله عليه وآله) استطاعبحكمته البالغة ان ينشر القرآن وتعاليمه القيمة وأن يسقط حجب الشرک عن البشرية.فالانسان بذاته ووجدانه موجود الهى وربانى مفطور على الايمان والتسليم بوحدانية الله تبارک وتعالى. وهذه الفطرة تدعو الانسان الى تحمل المسؤولية فى الحياة، وتدعوه الى النشاط والحيوية، إلّا أن حجب الشرک تتكالب عليه لتمنعه من الاشراق والتوحيد الذى هو رأس امارات الحياة والوجود لديه. فالانسان فى واقع الأمر يعيش صراعاً داخلياً مريراً؛ متعدد الصور والأشكال؛ متفاوت الدرجات، سواء اعترف بوجود هذا الصراع او اصر على إنكاره. فالمرء بطبيعته عابد لله تعالى متشرف بالخضوع اليه؛ وبفعل تآمر النفس ووساوس الشيطان وعصرات الزمن يتحول عبداً لعبد آخر او صنم او غير ذلک من الآلهة المزيفة! فالبعض من القوم كان يعبد التمر، والآخرون كانوا اذا مروا على صخرة تتمثل فيها صورة انسان أو حيوان او ما يشبههما باتفاق الصدفة فانهم يتوقفون عندها ويعتقدونها إلها من دون الله سبحانه. إن هذه الحال تعد الذروة فى الفراغ الفكرى والعقيدى، وليس ذلک إلا نتيجة من نتائج الخضوع لحجب الشرک.فالنبى المصطفى (صلى الله عليه وآله) واجه واقعاً مريراً كهذا الواقع، وبفضل وتوجيه الآيات القرآنية الكريمة، وبالعمل على انتزاع داعى الشرک هذا تحول الانسان فى الجزيرة العربية الذى لم يكن غير كتلة من الركود والقيود والاسر؛ تحول الى شعلة من النشاط والحيوية والفاعلية.إذن؛ فالداعى الدافع الذى يتجسد فى رغبة بنى البشر فى التملص من المسؤولية الملقاة على عاتقه بالفطرة، المسؤولية التى يعبر عنها القرآن المجيد ب " الأمانة " التى عرضت على السماوات والأرضين والجبال فأبين ان يحملنها، الأمانة التى هى اثقل من النماذج - آنفة الذكر - على قلب الانسان الذى يحاول التهرب من حملها، فتراه يتوسل بالشركاء والآلهة المزعومة من دون الله تعالى. فهو قيد نفسه ومصيره بالاعتقاد الأجوف بأن الخشب أو التمر أو الحجارة أو رئيس القبيلة سيقربه من الله زلفى وينقذه من نار جهنم، وهو فى ذلک ما يخدع إلّا نفسه.إن التاريخ يشير الى ان الازمة البشرية فى هذا الإطار لم تكن أزمة عقلية او ذهنية. فالفكر والتفكير بابسط انواعه وتركيباته يؤكد للانسان ان الصنم - الحجارة - لا يضر ولا ينفع. بل إن ازمة بنى الانسان التاريخية لاتعدو كونها أزمة نفسية. وهذه الازمة هى التى أودت بالناس لأن تعبد الاصنام ولاتزال تتوسل بالأوهام والتمنيات على اشكالها العديدة.لقد جاء القرآن؛ وجاءت سيرة الرسول (صلى الله عليه وآله)لتحذر الانسان من ان هذه الأصنام ليست لاتنفع ولا تضر فحسب، وانما تهوى به الى النار حيث المصير ذى الاهوال الخالدة إلا ان يشاء الله. كما صرح الله تعالى فى القرآن بان الاموال والأولاد والحسب والنسب الى زيد أو عمرو ليست ميزانا يعتمد لتحديد المصير الموعود.وما أروع صراحة الرسول (صلى الله عليه وآله) مع

الناس اذ کان یوجههم نحو تحمل مسؤولیاتهم الموکولة بهم. لقد أعلن لهم بکل بساطة ووضوح ان الایمان لا ولن یدرک بالتمنی ولکنه وقر فی القلب یصدقه عمل الأرکان، والایمان من دون اقترانه بالعمل الصالح لیس إلا کذبة تافهة. والقرآن الکریم لم یحثنا علی الایمان إلا ویحثنا علی العمل الصالح. ولقد ضرب لنا الأمثلة المتنوعة علی ذلک، وذکر قصص أسلافنا من الناس لیوضح فی طیاتها محاسن اقتران الایمان بالعمل الصالح، ولیوضح ایضا الصورة المضادة لذلک.

کلکم مسؤول

وعلی العموم، فان القرآن الکریم وسیرة الرسول الأکرم (صلی الله علیه وآله) اسقطا حجب الشرک عن اعین الناس؛ فإذا بهم یواجهون مسؤولیاتهم بشکل مباشر. وحینما قال لهم نبیهم (صلیالله علیه وآله "): کلکم راع وکلکم مسؤول عن رعیته [" ۳۱] .تجلت الانسانیة فی ضمائرهم وحرکاتهم، وتحول اولئک الجامدون الساکنون، اولئک الناس الذین یحترفون تضییع أعمارهم فی اللهو والصید والخرافات، تحولوا الی أمة حیّة فاعلة، واصبحوا رقماً یحسب له سکان الأرض جمیعاً حسابه. وقد وصف امامنا أمیر المؤمنین علی بن ابی طالب (علیه السلام) بعض أصحاب الرسول (صلی الله علیه وآله) قائلا ": کانوا والله رهبان اللیل وفرسان النهار. " ان هؤلاء صنعهم الرسول المصطفی بفضل إزاحة حجب الشرک التی فی مقدمتها دحض التمنیات والأمانی.ولم یوجه القرآن الکریم النصح للمسلمین فحسب، وانما توجه بالخطاب الی أهل الکتاب الذین کانوا یستحلون الخضوع للأوهام القائلة بان مجرد الانتماء الی دینهم کاف لهم عن السقوط فی جهنم، وتؤکد الآیة المبارکة ب (إِنَّ الَّذِینَ ءَامَنُوا وَالَّذِینَ هَادُوا وَالصَّابِئُونَ وَالنَّصَارَی مَنْ ءَامَنَ بِالله وَالْیَوْمِ الاَخِرِ وَعَمِلَ صَالِحاً فَلاـ خَوْفٌ عَلَیْهِمْ وَلاَ هُمْ یَحْزَنُونَ) (المائدة / ۶۹)تؤکد ان شرط الخلاص هو الایمان والعمل الصالح. فبمجردادعاء أحد ما انتماءه الی الاسلام أو الیهودیة أو النصرانیة أو الصابئة غیر جدیر – البتة – لأن یکون المقیاس فی تحدید مصیر الانسان فی الدار الآخرة، بل لعل العکس هو الصحیح؛ باعتبار ان آحادیة الإیمان قد تؤدی بالانسان الی المهلکة التی حذره الله منها مراراً.

المنفذ الأول الی الجنة

أما الرکیزة الثانیة فی ارتقاء الرسول (صلی الله علیه وآله) قمة القیادة – وهو القمة أبداً – فهی: إقناع الناس بان العمل الصالح هو المنقذ الوحید. فحینما کان المسلمون ینظرون الی القرآن ویتلون آیاته الکریمة کانت بصائرهم متفتحة وقلوبهم متدبرة ما تحویه، وحینما کانوا یصلون الی قول الله تعالی: (فَمَن یَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَیْراً یَرَهُ – وَمَن یَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرّاً یَرَهُ) (الزلزلة / ۷–۸).کانت تتفجر کل کوامن طاقاتهم، کانت هذه الآیة ومثیلاتها باعثا علی تحویلهم الی کتل من النشاط والحیویة.ولقد جاء أحدهم رسول الله (صلی الله علیه وآله) یوماً من البادیة قائلاً: یا رسول الله! انا رجل أعیش فی البادیة البعیدة ولا یمکننی الوصول الیکم کل حین، وأحب ان توجز لی الدنیا کلها بکلمة واحدة حتی أعقلها.. وأعمل بها. فتلا علیه النبی (صلی الله علیه وآله): (إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا – وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا – وَقَالَ الإِنسَانُ مَا لَهَا – یَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا – بِأَنَّ رَبَّکَ أَوْحَی لَهَا – یَوْمَئِذٍ یَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتاً لِیُرَوْا أَعْمَالَهُمْ – فَمَن یَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَیْراً یَرَهُ...) وعندما وصل الرسول (صلی الله علیه وآله) الی هذه الآیة قام الرجل قائلاً: حسبی یا رسول الله. مثل هذه الآیة الشریفة کان یبعث الذین اتبعوا الرسول علی استغلال کل لحظة من لحظات حیاتهم للعمل والحیویة، فکانت حرکاتهم نضالاًمقدساً، ولم تکن بأی شکل من الاشکال تعنی السکوت والجمود واللهو.ووقف احد الغرباء بین یدی النبی (صلی الله علیه وآله) الذی کان جالساً بین أصحابه – حیث ان من عادته (صلی الله علیه وآله) أن یجلس جلسة العبد، وما کان ما یمیزه عن المحیطین به، حیث لم یکن بمستطاع من لاـ یعرفه ان یمیزه بمظهره عن أصحابه فإذا بالرسول یتفوه بکلمات معدودة انفض الجمع علی أثرها مسرعین؛ کل باتجاه. فقال القادم: ما بکم؟ وماذا قال لکم هذا الرجل – النبی (صلی الله علیه وآله) –؟ ولماذا تحرکتم بهذا الاسلوب واتجهتم باتجاهات مختلفة؟ فقال قائل منهم: هذا رسول الله الینا، ونحن نصدق به ونؤمن، وقد حدثنا بحدیث. فقال: فلماذا والی این

انطلقتم؟ فقال: انطلقنا لنطبق الحديث. قال: وكيف؟ قال: نعمل بالحديث الأول الذى سمعناه ثم نعودالى الرسول لنستمع الى الحديث الثاني.ان المسلمين فى الصدر الأول للاسلام كانوا يطبقون الى حد كبير الآيات القرآنية، والذى دعاهم الى ذلك احساسهم العميق وشعورهم الصادق وايمانهم الحق بأهمية العمل الصالح، وكانوا على اعتقاد راسخ بان هناك يوماً آخراً لايحكم فيه سوى ميزان العمل. ولقد قرأوا حِكَم القرآن الكريم القائلة بان (وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ) (المؤمنون / ۱۰۳) هو الذى تحيط به خطيئته. أى ان من كان فى كتابه عملاً صالحاً وسيئاً، ورجحت كفة العمل السىء – والعياذ بالله – فانه كان كمن لم يكن له عمل صالح حيث تلم به خطوب الخطايا من كل حدب وصوب.ان هذه البصيرة وهذا الوعى كانا يدفعان بالمؤمن آنذاك الى الاستزادة من اعماله الصالحة، وهو كان على يقين من أمره بان كلمة مقدسة واحدة ينطقها من شأنها ان ترفع من منزلته يوم القيامة وتنقذه فى أحرج المواقف.وما أوسع رحمة الله سبحانه وتعالى، حيث جعل للمؤمنين سبلاً لاتحصى لممارسة عمل الخير والصلاح. ولقد فتح الله لنا اسباب الايمان والعمل الخير فى انفسنا، وكان ذلك ان يقرر الشيطان اللعين القعود لنا عند الصراط المستقيم.وتحضرنى رؤيا أحد المؤمنين الذى توفى أبوه ورآه فى المنام، اذسأله عما كان من مصيره فى عالم البرزخ والحساب الأول. فأجابه الأب: بعد وفاتى جاؤوا بالميزان ووضعت أعمالى الصالحة فى كفة والأعمال الأخرى فى الكفة المقابلة فرجحت كفة أعمالى السيئة على الأعمال الصالحة، وهناك كلما استعطفتهم بارجاعى الى الحياة الدنيا لم يكن ندائى ذا وقع عليهم؛ وحتى كدت ان اخسر الميزان، اذا بملك من الملائكة استوقف من أمر بسوقى الى جهنم قائلاً: هناك عمل من أعمال هذا الرجل ما وضعناها فى ميزانه. ثم كشف عما كان فى قبضته، حيث كانت حفنة من تراب ووضعها فى الميزان فى كفة الحسنات فاذا بها ترجح على كفة سيئاتى وصرت من أهل الجنة. فسألت هذا الملك الكريم عن قصة حفنة التراب التى كنت نسيتها. فقال: فى يوم من الايام كنت تشيع مؤمنا عند قبره ثم أهلت هذه الحفنة من التراب بعد دفنه، ويأبى الله أن يذهب عملك الصالح هذا سداً.وعلى الطرف النقيض من ذلك هناك الاعمال السيئة ومما يمكن ان تلحق بالانسان الغافل عن مصيره. ولا ننسى المثل العربى المعروف " القشة التى قصمت ظهر البعير " فقد تكون هناك قشة واحدة من شأنها ان تغير من حركة الميزان باتجاه تعاستنا الابدية. ومن هنا لايجوز لنا باى حال من الأحوال ان نستهين بالعمل الصالح فنتركه، او نستهين بالعمل السىء ونرتكبه رجاء مغفرة الله سبحانه.نعم، ان الله عز وجل ارحم الراحمين، لكن لا يعنى ذلك انه يغفر للانسان دون ان يكون فى كتابه أعمال صالحة.(إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذِكْرَى لِلذَّاكِرِينَ) (هود / ۱۱۴)فالعمل الصالح يحول السيئات الى حسنات، وليس السيئات تتحول بذاتها حسنات...لقد اصبحت القبائل الجاهلة امة ذات حضارة شماء بفعل ما كان يبعث فيها الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) مثل هذه العقيدة الصالحة. فكان (صلى الله عليه وآله) يتقدم المؤمنين من أصحابه فى ساحات الحروب بنفس الدرجة التى كان يحثهم على التقدم فى القتال ومواجهة الأعداء، كان يتقدمهم فى ممارسة العمل الصالح وتهذيب الذات وخدمة الناس بنفس الدرجة التى كان يحثهم على ذلك.والآيات القرآنية الكريمة اكدت فى غير موقع بان ذات رسول الله (صلى الله عليه وآله) تواقة الى ان تكون الانموذج الأعلى فى ممارسة ماهو خير وصلاح.ومن هذه الآيات: (وإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (آل عمران / ۱۲۱).أى انك ايها الرسول قد سبقت المؤمنين فى الاستعداد الميدانى لقتال أعداء الله، والقيام بمهام التخطيط والاستعداد له قبل الجيش الاسلامى، وهذا بطبيعته يمثل القمة فى الايثار والجرأة والشجاعة، حيث يعمد القائد الى تنفيذ مثل هذه المهمة. ولقد صور لنا أمير المؤمنين على (عليه السلام) شخصية الرسول (صلى الله عليه وآله) و شجاعته فى القتال بقوله ": كنا إذا احمر البأس اتقينا برسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم) فلم يكن أحد منا أقرب الى العدو منه [" ۳۲] .

الرجل الأول فى التأريخ

كان النبى الأعظم (صلى الله عليه وآله) – وهو الانسان الأول فى التاريخ – يسارع الى عمل الخيرات مبادرا الى ممارسة كل ما من شأنه ان ينعكس بالايجاب على نفسية اصحابه وتربيتهم. وحينما قرر بناء أول مسجد للمسلمين فى المدينة المنورة أمر المسلمين بان

یأتوا ویضعوا حجر البناء، وکان کل مسلم یحمل حجراً واحداً وکان هو - القائد - یحمل حجرین معا، وکلما اراد المسلمون ان یخففوا عن نفسه کان جوابه النفی؛ مؤکداً ان القائد لابد له من الفعل المضاعف. فیاتری ماذا کان بوسع الرعیة الصالحة ان تتخذ من مواقف ازاء هذا الایثار والتضحیة النبویة غیرالاقتداء والالتزام؟!

الاستقامة ثم الاستقامة

أما الرکیزة الثالثة التی اعتمدها الرسول المصطفی محمد (صلی الله علیه وآله) فی بعث المسلمین علی ان یکونوا أمة صالحة فهی: تمسکه بمبدأ الصبر والاستقامة وحثهم علی الالتزام به. وقد جعل النبی (صلی الله علیه وآله) من نفسه مثلا أعلی فی هذا المضمار؛ حتی قال ": ما أوذی نبی بمثل ما أوذیت [".. ۳۳] .وقد صرح بهذا التصریح العظیم وهو الذی (وَمَا یَنطِقُ عَنِ الْهَوَی - إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْیٌ یُوحَی) (النجم / ۳ -۴).ولمزید من التبصر بهذا الحدیث النبوی الشریف لابد لنا من قراءة تأریخ الرسل والانبیاء (علیهم السلام) وما تعرضوا له من أذی وتعذیب وتنکیل لایلیق بأی حال من الأحوال بشخصیاتهم ومقاماتهم الرفیعة. لکی نتعرف علی عظمة الرسول وموقعه عند ربه عز وجل، أولیس الأجر علی قدر المشقة؟! وفوق ما کان یتعرض له (صلی الله علیه وآله) من أذی جسدی ونفسی کان یؤمر بالصبر والاستقامة من قبل الله تعالی حتی قال یوماً ": شیبتنی سورة هود " فقیل له: لماذا یا رسول الله؟ قال: لآیة فیها، فاستقم کما أمرت ومن تاب معک." وتحدثنا السیرة النبویة الشریفة ان الرسول (صلی الله علیه وآله) حینما استشهد العشرات من اصحابه البررة ومن بینهم حمزة سید الشهداء (علیه السلام)، وفر قسم کبیر اثناء وبعد انتصار المشرکین فی معرکة احد، واصابته ومن تبقی معه وفی مقدمتهم أمیر المؤمنین (علیه السلام) بالبلیغ من الجراح؛ بعد کل ذلک عاد (صلی الله علیه وآله) الی المدینة - والمسافة من أحد قریبة - وحینما أخذ ینزع لامة حربه هبط علیه الأمین جبرائیل (علیه السلام) قائلا: یا رسول الله أتنزع لامة حربک والملائکة ما نزعوا لاماتهم؟! ان الله سبحانه وتعالی یأمرک بأن تلحق بالمشرکین؛ انت والمجروحون معک. وقد انصاع الرسول (صلی الله علیه وآله) لهذا الأمر الالهی فذهب الی الامام أمیر المؤمنین (علیه السلام) فرآه وقد اثخنه ما یزید علی سبعین جرحا بلیغا وکانت الدماء تنزف منهما علی السواء، فقال (صلی الله علیه وآله): صبرا یا أبا تراب! فقال (علیه السلام) یا رسول الله ان هذا موضع الشکر. فقاما ومعهما النخبة الخالصة من أصحاب الرسول، وقاد بهم المعرکة التی سمیت بمعرکة (السویق) حیث ألحق بالمشرکین هزیمة نفسیة نکراء، لم یتذوقوا بعدها طعم الانتصار أبداً.بهذه الآیات من الصبر والاستقامة والصمود تمکن النبی (صلی الله علیه وآله) من خلق الأمة التی کانت حتی وقت قریب من ذلک العهد میداناً للتناحر والبغضاء والهزیمة والخنوع.

دورة التأریخ

اشاره

... والآن عاد علینا التأریخ الجاهلی بدورته أو أعدناه نحن علی أنفسنا، ذاک وهذا التأریخ المخزی حیث تداعت وتتداعی علینا الأمم کما تتداعی الأکلة علی القصعة، کنا قبل الاسلام وصرنا الآن مجرد مواد خام وإمکانات واسواقاً وساحات لاستعراض السیطرة الأجنبیة نتوجه حیث یرید لنا أعداؤنا. حل بنا کل ذلک بعد ان ترکنا نهج الرسول (صلی الله علیه وآله) وما رسمه لنا من برنامج حیاة حرة. واذ احرر هذه السطور فانه یسقط طفلان من الجوع کل دقیقة فی العراق جراء الحصار المفروض علی الشعب دون حکومته الظالمة، وفی البوسنة هناک مئات الآلاف من القتلی وعشرات الآلاف من النساء ذهبن ضحیات الاعتداء والاغتصاب، وفی جمهوریة الشیشان یتعرض الناس الی ابشع انواع التصفیة العرقیة. بل وحتی فی أفغانستان حیث یتناحر الأخوة المسلمون الذین کانوا حتی الأمس القریب یقاتلون الاحتلال السوفیاتی فی خندق واحد، هذا فضل عما یتعرض له اللبنانیون المسلمون المحرومون لأطنان القذائف الیهودیة

ضمن محاولات ابادة الشعب الفلسطينى على طريقة الابادة القومية التى تعرض لها الهنود الحمر فى اميركا حيث اصبحوا جزءا من مخلفات التأريخ الميت. هذه صورة مبسطة من واقعنا المعاش فى ظل السيطرة الأجنبية علينا بعد أن تركنا التمسك بالنهج الإلهى الذى أبلغه الرسول (صلى الله عليه وآله) وأوصله الينا بكل أمانة وايثار.

العودة الى الجذور

أقُول: إننا اليوم بأمس الحاجة الى العودة الى النهج النبوى الذى عمل على تنبيه الناس، بانه لا مفر دون اسقاط حجب الشرك عن أعينهم، وإزاحة هذه الغشاوة الشيطانية المتمثلة فى ارتكاب السيئات.ان المفترض بنا ان ندرك بأن كل لحظة من لحظات عمرنا محسوبة علينا فى كتاب الله الذى لا يغادر صغيرة ولا كبيرة إلّا أحصاها. فالمسلم النزيه ليس لديه ثمة وقت يضيعه فى مجالس اللهو والبطالة مثلًا، وهو مطلوب منه على درجة عالية من الأهمية. أن المسلمين على عهد رسول الله (صلى الله عليه وآله) كانوا كما هى خلية النحل؛ فمن الايمان بالله الواحد الأحد الى ممارسة العمل الصالح الذى يبدأ بقتال المشركين ويمر بتربية النفس وتهذيبها لينتهى بتحصيل العلم وفتح آفاق الحياة، ليضمنوا بكل ذلك الحياة الابدية والنعيم الدائم ورضوان الله الأكبر.

مبعث الهدى

اشاره

لقد انبعث النور الالهى من جبل النور (غار حراء) فى مثل يوم السابع والعشرين من شهر رجب الاصب، وبدأت صفحة مشرقة وجديدة من تاريخ البشرية.. وانّى كان عمر البشرية على وجه هذا الكوكب الارضى.. هل بلغ الاف السنين؟! ام عشرات الالوف من السنين؟! ام ملايين من الاعوام؟، ومهما كانت الاجابة، تبقى الحقيقة التى اجمع عليها المؤرخون وهى، ان هناك فصلان شهدتهما حياة البشرية؛ الفصل الاول وهو الذى سبق انبعاث الرسالة المحمدية الشريفة، والفصل الاخر هو الذى عقب هذا الحدث العظيم.ففى الفصل الاول لاحظت البشرية بعض التقدم والازدهار والتحول الحضارى فى بعض الواحات الخضراء، ولكن فى الاغلب الاعم رافق ذلك عهود مظلمة غطت حياه البشرية من شرقها الى غربها. فلو القيت ببصرك آنذاك على النصف الشرقى للكرة الارضية، والذى كان يهيمن عليه الحكم الامبراطورى الساسانى الفارسى، والذى امتد من بلاد الرافدين الى اعماق السهل الصينى تقريبا، وكذلك الحكم الرومانى البزنطى والذى امتد من بلاد الشام الى عمق القارة الاوربية، لرأيت ما رأيت من صور العذاب والمحنة التى شهدتها البشرية.اما لو القيت بنظرك على شبه الجزيرة العربية بمساحتها الشاسعة والمترامية الاطراف، فلن تجد الا ظلاما دامسا وظلما وتخلفا واسعا وفوضى على كافة الاصعدة والمجالات الحياتية.. بل لم يذق العربى آنذاك طعم القانون والحرية والهناء الا ببزوغ نور الاسلام الذى سطع على وجه الجزيرة العربية.

حضارة ام فرعونية؟!

لقد حاول ولا زال يحاول بعض الكتاب الغربيين واصحاب الفكر الالحادى المادى ان ينفخوا فى رماد الحضارات البالية كالحضارة الفرعونية – ان صح اطلاق كلمة الحضارة عليها – متشبثين ببعض نقاط التقدم البسيطة التى رافقت حياة تلك الحقبة التاريخية، متناسين فداحة الظلم وقساوة التعسف الذى قوّم اعمدة تلك الصروح الفاسدة على اساس اذلال بنى البشر والنيل من كرامته المقدسة.انهم يشيرون الى عملية تحنيط الاموات وبناء معبد الشمس (ابى الهول) والاهرامات الثلاثة والقصور المنيعة التى حوت مقابر الفراعنة.. على انها آثار حضارية تستدعى التجليل والاعتزاز من قبل بنى البشر، وقد تناسوا ان هذه الاهرامات ما بنيت إلّا على اكوام

من العظام والجماجم البشرية. لقد كان الفراعنة وازلامهم يقتادون المزارعين قسراً ليبنوا مقابرهم التى اخذت بعد حين تناطح فى علوها السماء، ولكن على حساب دفن عشرات الآلاف من البشر المعذبين تحت صخورها!اى حضارة تلك التى يموت فيها الآلاف.. الآلاف من البشر حتى تحيى مجرد ذكرى الفراعنة فى قبورهم؟ ثم اى تطور علمى حازه الفراعنة آنذاك عندما ابتكروا لأول مرة عملية تحنيط الاموات؟!.. لقد كانوا يأتون بالمحرومين والمزارعين ويسترقوهم ثم يجوعوهم لكى ينقلوا تلك الصخور التى لم يجتمع الا المئات.. المئات لمجرد تحريك صخرة واحدة من مكانها، وعندما يسقط هذا الانسان العبد ميتا ينزلون على جثته لكى يمتصوا دمه ويجمعون لحمه لكى يستفادوا منهما فى عملية التحنيط؟!

كسروية و قيصرية

اما الدولة الساسانية المجوسية الكسروية فهى الاخرى كانتتحكمها الطبقات الغنية وقوى العسكر والجيش، بل كانت المرأة هى السلعة المشاعة بين الجميع لكى يتلذذوا منها أنّى شاءوا..!اما الدولة الرومانية المسيحية القيصرية التى ورثت رسالة عيسى (عليه السلام) فقد طالتها يد الفساد كما طالت يد التحريف على كلمات الانجيل المقدس، وما بقيت من ركائزها الا الهيكل الشكلى لقداسة مزورة وكاذبة للحكم المسيحى والذى لا يهمه سوى الهيمنة والسلطة تحت ذريعة حكومة الله والمسيح!يروى لنا التاريخ ان الرومان عندما دخلوا فى معارك عديدة مع المسلمين، اجتمعت قيادتهم العسكرية فى احد الليالى وفى خيمة القائد، وتحدثوا عن قوة المسلمين ومدى استبسالهم رغم صعوبة الطرق ووعورة الجبال والوديان التى لم يألفوها وهم تربوا وترعرعوا بالامس فى اراضى قاحلة وجرداء، وكان حارس الخيمة يستمع الى حديثهم عند باب الخيمة، فمد رأسه الى داخل الخيمة عندما سمع الاصوات ارتفعت ودار الجدال بقوة حول الامر، وقال: أتأذنون لى ان اتفوه بكلمة حول سبب تقدم المسلمين فى مقابل تقهقرنا؟.. ولكنهم اخذوا ينهروه وقالوا له: اسكت، كيف تتدخل فى شؤون القيادة. فسكت الرجل، ثم عاد النقاش ثانية حول الامر، فأدخل رأسه ثانية الى الخيمة وطلب منهم الحديث، فرفضوا ذلك ونهروه ثانية.. ثم عاود فى التدخل فى الأمر ثالثة ورابعة، ثم الح عليهم، ففسحوا له لكى يتكلم، فقال: ان الجواب على استفساركم هو لدى. قالوا: وكيف؟! قال: الدليل على ذلك هو حالى وحال امثالى، فقالوا: وضح ما تقصد؟ فقال: انا كنت بالأمس فى تلك القرية النائية، وكنت اسكن مع زوجتى واطفالى واكدح فى مزرعتى وبيتى وكنت املك عدداً من الابقار والشياة، الى ان جاء جيشكم فصادر جميع اموالى وارضى وقتلوا احد اطفالى ثم اتوا بى عنوة الى هنا لكى اعمل حارساً. فأقول واتساءل: كيف استميت واستبسل من اجلكم وانا شاهدت ما شاهدت من ظلم ومفاسد، وكيف يمكن لجنودكم ان يحملوا راية الظلم والجور ويواجهوا ويقاتلوا من يحمل لواء العدل الى العالم؟!وقبل ذلك شهدت بلاد الرومان فتوحات الاسكندر المقدونى الذى جاء من الغرب لكى يكتسح الشرق بجيشه، وفعل ما فعل ضد الفقراء والمظلومين لكى يبنى امجاداً زائفة له ولمن يأتى من بعده.

ظلام و نور

لقد جاء الاسلام الى الامم والشعوب لكى يعيدها الى حضيرة المبادىء والقيم السماوية الطاهرة، ويخرجها من اغلالها واصرها التى كانت عليها (هُوَ الَّذِى بَعَثَ فِى الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَالٍ مُبِينٍ) (الجمعة / ٢).لقد اجتاحت الفوضى والحروب الضروس الطاحنة بين القبائل العربية وراج سوق الشعوذة والخرافات.. لقد حكمت وتحكمت العصبية القبلية المقيتة بروح وكيان كل من سكن بادية الجزيرة العربية والتى لم تر فى تاريخها اى مدنية او حضارة تذكر، بل لم يقترب إليها فاتحوا البلاد الاخرى لتخلفها المفرط وفقر باديتها القاحلة التى لا تنبت فيها سوى الزرع القليل لملوحة الارض وفقدان الماء الكافى.لقد صنعت هذه الصحراء الغبراء رجل الجزيرة العربية انساناً شديداً، وفضاً غليظاً، تتآكله الامية والجهل والخرافة والفوضى.. وشاءت القدرة الربانية ان يأتى رجل من بطن الجزيرة العربية وينزل على ابنائها نور العدل والعطف والمحبة

والتعاون والتآلف.. فصنع هذا الرسول العظيم (صلى الله عليه وآله) من هذه الامة المتخلفة بالامس امة تطوى الفيافى كطى السجل فى الصحف بهمتها العالية وروحها الوثابة، وتنشر الخير والفضيلة فى كل مكان كما اعترف اكثر المؤرخين والمفكرين الغربيين بذلك.لقد تحكمت على الديانة اليهودية بعد ان مستها يد التحريف وروح العصبية العنصرية، فاقتصرت على قوم بنى اسرائيل عبر سلالة ضيقة لايحق الانضمام اليها الاخرون، لان الامم والشعوب الاخرى ليست " من شعب الله المختار! " اما الديانة المسيحية فأصبحت هى الاخرى ألعوبة بيد الحكام ووعاظ السلاطين بعد ان شمروا ساعد التلاعب والتجاسر على كلمات الله المقدسة وحرفوها حسب ما تشتهى اهوائهم.ان تسليط الضوء على بعض المفاسد والجرائم التى يرتكبها الانسان اليوم تحت يافطة الدين فى بعض الدول والشعوب الاخرى كالهند والصين وافريقيا – مثلاً – يتلمس جيدا عظمة شخصية الرسول (صلى الله عليه وآله) وبركة البعثة النبوية الشريفة على الامم التى تفيئت تحت ظل مبادىء الاسلام وتعاليمه السمحة.فقد سمعت قبل فترة خبرا مذهلا ولا اكاد لحد الان اصدقه! مفاده؛ هو انه، وخلال السنة الماضية تم اعدام ثلاثة ملايين بنت لمجرد انها بنت! فى الهند، مع العلم ان الزواج فى الهند يتم عبر تقديم المهر والصداق من قبل الزوجة الى الزوج؟!كما ان هناك عادة لازالت رائجة فى هذا البلد، وهى قتل الزوجة فيما اذا مات زوجها، كما تقر بعض قوانين الديانات الهندية! وتتم عملية الاعدام اما عبر دفن الزوجة مع الزوج الميت او عبر حرقها، ويقول صحفى ذهب لمقابلة والد وأم الزوجة التى توفى زوجها: سألهم عن انطباعهم، فقالوا: نحن راضين لان الله يريدهكذا؟! اما فى الصين وافريقيا فهناك امور عجيبة ومذهلة اخرى!

مقاومة زيف الطغاة

لقد نعمت البشرية ببركة انبلاج نور الاسلام وانتشار مناهج الرسالة الاسلامية بين كثير من بلدان العالم آنذاك ما لم تنعم باقى الامم والشعوب الاخرى، وهذا لا يعنى بالتأكيد ان كافة الحكومات والدول التى رفعت راية الاسلام وادعت تسربلها بلباس الاسلام ان تكون اسلامية فى واقعها وجوهرها. فهناك جملة من الدول والحكومات كحكومة بنى امية وبنى العباس و.. حكمت باسم الاسلام وذلك لمعرفتها بأن الشعوب التى تخضع لسطوتها لا ترض ولن ترضى غير الاسلام دينا. فلذا لم تجرأ على محاربة اسم ورسم وطقوس الاسلام، بل انبرت لتحريف بعض مفاهيم الاسلام وتشييع بعض التفاسير للقرآن الكريم حسب ما تشتهى مصالحها الدنيوية، كما تفعل جملة من الدول الاسلامية فى الوقت الحاضر. وهنا يأتى دور ائمة الهدى وسيرتهم المباركة فى مقدمة مواجهة صور التحريف المغرضة هذه لتفهيم الامة بحقيقة مبادئها، ولذا كانوا (عليهم السلام) بمثابة (القرآن الناطق) كما يقول مولانا أمير المؤمنين على بن ابى طالب (عليه السلام) بل ان ظهور وبعثة هكذا رسالة ربانية عظيمة على يد سيدنا الرسول الاعظم (صلى الله عليه وآله) وبهذه المفاهيم والتعاليم المنقذة والنبيلة، تستدعى بطبيعة الحال كما هو ديدن الطغاة عبر التاريخ، المواجهة من قبل الظلمة والفاسدين والسعى الحثيث على ان لا تقف تعاليم هذا الدين المبارك بوجه مطامعهم واهواءهم الشيطانية.ولكن بفضل نور الولاية الطاهرة ودور الائمة الاثنى عشر المعصومين من آل بيت محمد (صلى الله عليه وآله) تم احباط كافة صور التزوير والتحريف المتعمد الذى انبرى اعداء الاسلام والمستكبرين للنيل من مبادىء الاسلام وتوجيهها وفق مصالحهم الدنيوية، فكانت سيرتهم ومواقفهم العملية (عليهم السلام) خير دليل ولا زال ببركة احاديثهم المأثورة عنهم لكل من يتلمس الحقيقة الناصعة. وبهذا تم حفظ مبادىء الاسلام وجوهر الدين فى وقت قد ورثت البشرية المبادىء المحرفة لتعاليم موسى (عليه السلام) و عيسى (عليه السلام) فى التوراة والانجيل!واليوم لو القينا نظرة الى خارطة العالم الاسلامى لوجدنا ان صحوة وبعثة محمدية جديدة اخذت تتسع لتشمل كافة قطاعات ومرافق حياة المسلمين تدريجياً وخطوة خطوة، بل اخذ المسلمون يستعيدون مواقعهم الطبيعة بين الجماهير ويرسمون خريطة العودة الى بناء صرح حضارتهم الاسلامية، التى شيدها الرعيل الاول من المسلمين، كما شيدت حكومة الرسول الاكرم (صلى الله عليه وآله) فى المدينة المنورة وكذلك حكومة الامام على بن ابى طالب (عليه السلام) والتى امتدت طيلة اربع سنوات، وحتى حكومة الامام الحسن المجتبى

(عليه السلام) والتی لم تدم سوی ستة اشهر، او حكومة الشهيد مسلم بن عقيل فی الكوفة والتی استمرت عدة سويعات!

من وحی البعثة

ان البعثة المباركة تعطينا دروس عديدة لو تأملنا فی جوهرها ومضامينها، فمن هذه الدروس:۱- لابد من قراءة ودراسة البعثة النبوية الشريفة وحياة الرسول الاكرم (صلی الله عليه وآله) وسيرته ومشروعه الدعوی للأمة دراسة عميقة. فلا تقتصر دراستنا علی مجرد شذرات من ولادة الرسول (صلی الله عليه وآله) ويوم بعثته ويوم وفاته، بل لابد ان تتسع دائرة دراستنا كافة الابعاد السلوكية والاخلاقية والفكرية فی كافة مراحل دعوته المباركة، بل تستمر دراستنا ايضا لاستلخاص اهم الدروس من سيرة الائمة المعصومين (عليهم السلام) باعتبارهم المكملين لدور التوجيه والقيادة الربانية للأمة.فنحن قلما نجد خطباءنا وكتابنا وصحفينا يسلطون الضوء الكاشف والكافی علی سيرة الرسول الاكرم (صلی الله عليه وآله) والائمة المعصومين (عليهم السلام) ويستخلصون الدروس المفيدة لواقع الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية للأمة.۲- لقد بعث الرسول الاكرم (صلی الله عليه وآله) وصدع بدعوته المباركة لا لكی يغير ويصلح بعض الظواهر والاشكال والقشور، فلم تكن حركة الرسول (صلی الله عليه وآله) حركة اصلاحية ترميمية، بل كان دوره (صلی الله عليه وآله) دور البناء والمعمار الذی يبنی البناء من الاساس ثم يرتقی لبناء الطوابق الاخری.. انه (عليه السلام) لم يهادن ولم يداهن الاعداء علی حساب الدين وتعاليمه، فلذا لم يرض بأنصاف الحلول كما يفعل البعض فقد عرض بعض المشركين عليه (صلی الله عليه وآله) لكی يجمعوا فی عبادتهم بين عبادة الاصنام والصلاة، فرفض (صلی الله عليه وآله) ان يرقع فی الدين وقيمه.لقد اعاد الرسول الاكرم (صلی الله عليه وآله) الانسان من جديد وصاغه من جديد، لقد غير (صلی الله عليه وآله) ثقافته من الثقافة الجاهلية المقيتة الی ثقافة ربانية رحبة، فصنع رجالاً كأبی ذر الغفاری الذی كان هو وقبيلته من قطاع الطرق وحوله الی اصدق انسان حتی قال (صلی الله عليه وآله) فی حقه ": ما أظلت الخضراء ولاـ أقلت الغبراء من ذی لهجة أصدق من أبی ذر [" ۳۴] وكسلمان الفارسی حتی قال فيه": سلمان منا اهل البيت " وكذلك عمار بن ياسر والمقداد الذی اضحی كزبر الحديد..انه (صلی الله عليه وآله) استهدف حركة جذرية شاملة فی الامة وفی مختلف الابعاد، فلذا لم يترك الامة فی غياهب الأمور ومجاهيل القضايا، بل اعطی رؤی مناهج التحرك العملی علی كافة الاصعدة والمجالات الحياتية، هذا ناهيك عن دعوة الامة لمعرفة ائمة زمانهم وقادتهم الميدانيين بعد وفاته وهم ائمة اهل البيت (عليهم السلام).۳- لقد صاغ (صلی الله عليه وآله) الانسان المسلم علی اساس وقاعدة الايمان بالله عبر تقوية وربط العلاقة بين العبد والمولی، بين الضعيف ومنتهی القدرة والعزة اللامتناهية.نحن لو ذهبنا الی (ما ينهاتن) فی نيويورك الامريكية واردنا ان ننظر الی عمارة (امبابرستت) والتی تتألف من (۱۲۰) طابق، او عمارات وبنايات كبری تناطح السحاب فی (شيكاغو) او (طوكيو)، لرأينا انها بنيت علی اساس من الصخور او (الرصاص) او أی قاعدة أخری بشرط ان تكون قوية جدا بأمكانها ان تحمل قوة وثقل (۱۳۰ او ۱۴۰) طابق علی مدی سنين عديدة، فكذلك الانسان اذا تمكن ان يربط قلبه المتحول والملیء والمتأثر بدواعی الهوی والشك بمقام العزة الالهية، فلا يمكن زعزعة كيان هذا الانسان المؤمن او تحريفه، وهذا الأمر انتهجه الرسول الاكرم (صلی الله عليه وآله) فی سيرته لبناء اصحابه وحوارييه (رض).روی عن أبی عبد الله (عليه السلام) قال ": استقبل رسول الله (صلی الله عليه وآله) حارثة بن مالك بن النعمان الانصاری فقال له: كيف أنت يا حارثة بن مالك؟ فقال: يا رسول الله مؤمن حقاً، فقال له رسول الله (صلی الله عليه وآله): لكل شیء حقيقة فما حقيقة قولك؟ فقال يا رسول الله عرفت نفسی عن الدنيا فأسهرت ليلی وأظمأت هواجری وكأنی أنظر الی عرش ربی (و) قد وضع للحساب وكأنی أنظر الی أهل الجنة يتزاورون فی الجنة وكأنی أسمع عواء أهل النار فی النار فقال له رسول الله (صلی الله عليه وآله): عبد نوّر الله قلبه، أبصرت فاثبت، فقال: يا رسول الله ادع الله لی أن يرزقنی الشهادة، أن يرزقنی الشهادة معك، فقال: اللهم ارزق حارثة الشهادة، فلم يلبث إلاّ إياماً حتی بعث رسول الله (صلی الله عليه وآله) سرية فبعثه فيها، فقاتل فقتل تسعة – أو ثمانية – ثم قتل. [" ۳۵] .لقد دعا الحارثة افضل دعاء فكان صحابياً جليلاً وذكياً، وقد عرف كيف يستشعر خوف الله وحبه فی قلبه وكيف ينتخب

ویختار الطریق القویم والسلیم المؤدی الیه جل وعلا وان یرغب فی ان تکون حیاته کلها فی جنب الله فلا یهمه ان تستمر ایام حیاته ام تقل، وانما المهم عنده (رض) هو ان تزداد معرفته فی الله یوماً بعد آخر، ولذا اختار طریق الشهادة، ولانه کما یری الطریق السهل والمضمون الی الجنة من ان یبقی فی الدنیا مع ابتلاءاتها وفتنها العدیدة.وبالفعل استجاب الله لطلبه فخرج بعد عدة ایام مع سریة لحرب المشرکین فاستشهد هناک (رض).

رسل الله رمز التحدی

اشاره

قبل ان ندخل فی رحاب القرآن الکریم، ونستوحی من آفاق معرفته الفیاضة، لابد ان نذکر القارئ الکریم بملاحظتین مهمتین:

الارتفاع الی مستوی التدبر

۱- ان علی الانسان المسلم ان لایری نفسه غیر قادر علی الارتفاع الی مستوی التدبر فی کتاب الله، والاستفادة من آیاته الکریمة، فهناک البعض وبسبب احساسهم بالنقص، والضعف، والحقارة یظنون انهم لم یصلوا بعد الی مستوی القرآن الکریم، فاذا بهم لا ینفتحون علی آیاته الکریمة، ولا یحاولون استیعاب آفاق المعرفة الالهیة، بل ولا یسمحون لانفسهم بالتدبر فی القرآن!ومثل هذا الموقف هو موقف عجیب، فلولا ان القرآن من الممکن ان یلهم الانسان، ولولا ان الله - تعالی - یعلم انه من الممکن ان یرتفع الانسان الی مستوی فهم القرآن الکریم، لما بعث الرسول بهذا الکتاب، ولما جعله هدی للناس، ولما أرسل رسوله للناس کافة، بل لخصص بالقرآن طائفة من الناس دون غیرها.وعلی هذا فان الخالق - تعالی شأنه - یسر القرآن للذکر:(وَلَقَدْ یَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّکْرِ فَهَلْ مِن مُدَّکِرٍ) (القمر / ۱۷).فکل انسان بلغ مبلغ الوعی والادراک هو مهیأ نفسیا وذهنیا لمعرفة آیات القرآن، والتدبر فیها، واستیعاب معانیها، وفی الحقیقة فان ایحاء الانسان الی نفسه انه لایستطیع فهم القرآن الکریم انما هو من وساوس الشیطان، فالشیطان الرجیم یأتی الی الانسان المسلم، ویوسوس فی صدره قائلا: این انت من القرآن؟ ان القرآن هو کتاب الله العظیم ولا یستطیع ان یفهم هذا الکتاب إلا أهله! فاغلق منافذ قلبک عن القرآن اذن، لانک عاجز عن فهمه!!وهکذا یجب علی الانسان المسلم ان لایستصغر نفسه، ولا یستحقرها، فالله - سبحانه وتعالی - أودع فیه هذا العقل العظیم القادر علی استیعاب الحقائق، فلماذا نحرم انفسنا من نعمة منحها الله ایانا؟ ان مثل هذا العمل لایخدم إلا مصالح الشیطان، لانه یرید ان یغوینا من خلال الحیلولة دون دخول النور القرآنی الی قلوبنا. فاذا ما أظلم القلب، سیطر الشیطان، واستحوذت علینا وساوسه وتبریراته وبالتالی همزاته ولمزاته، لینحی الانسان عن الصراط المستقیم.

انعکاسات القرآن فی القلوب

۲- الحقیقة الثانیة التی أرید ان اثبتها کتذکرة هنا هی؛ ان القرآن الکریم یتجلی فی قلوب الناس، ولکن هذه القلوب قد تکون شفافة نقیة صافیة تتلألأ کقلب النبی (صلی الله علیه وآله)، وهذا النور هو نور القرآن المتشعشع فی مشکاة قلب الرسول (صلی الله علیه وآله).ومع ذلک فان قلب الانسان المسلم الذی انعکس علیه شیء من نور القرآن قد یکون متأثرا ببعض الافکار التی دخلت هذا القلب، فترکت فیه آثارا من الشرک، وهذا هو السبب فی انحراف الدیانات السابقة کالدیانة المسیحیة، فالمسیحیون قالوا ان الناس لیس بامکانهم الایمان بالانجیل وصفائه ووضوحه، وبالنور الالهی الموجود فیه، فلنأخذ من ثقافات الآخرین کالثقافة الیونانیة الوثنیة، ولنمزج هذه الثقافة بالانجیل، فکانت النتیجة ان اخذوا بفکرة الاقالیم الثلاثة؛ الله، والابن، وروح القدس.وهذه السلوکیات الخاطئة هی نفس ما یقوم بها الآن البعض من المثقفین الذین ذهبوا الی البلدان الغربیة فأخذوا یفسرون القرآن الکریم حسب ما تعلموه وتلقوه من

افکار غربیة وضعیة.

رافد عذب و نبع صاف

ان علینا ان نستمد ثقافتنا من القرآن الکریم بشکل مباشر، وانلا ننفصل عن هذا الکتاب العظیم، فحجتنا یوم القیامة ستکون قویّة عندما نأخذ علمنا وثقافتنا من هذا الرافد العذب، والنبع الصافی، فالقرآن الکریم یظل هو الاساس والمعیار حتی بالنسبة الی احادیث الأئمة (علیهم السلام)، ولذلک یأتی التأکید من قبل الامام الصادق (علیه السلام) علی المسلمین بأن یعرضوا الروایات والاحادیث علی القرآن الکریم، فما وافق الکتاب فلیأخذوا به، وما خالفه فلیضربوه عرض الحائط.

شبهات الکفار تجاه الرسل

وفی سورة الفرقان التی تحمل اسما من اسماء القرآن الکریم، وهو " الفرقان " الذی یعنی ان القرآن یفرق بین الحق والباطل، هناک بعض الآیات التی یطرح فیها الله – سبحانه – تساؤلات بل شبهات الکفار تجاه الرسل، وهی کالتالی:(وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ یَأْکُلُ الطَّعَامَ وَیَمْشِی فِی الاَسْوَاقِ لَوْلاَ اُنزِلَ إِلَیْهِ مَلَکٌ فَیَکُونَ مَعَهُ نَذِیراً – أَوْ یُلْقَی إِلَیْهِ کَنزٌ أَوْ تَکُونُ لَهُ جَنَّةٌ یَأْکُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَّسْحُوراً – انظُرْ کَیْفَ ضَرَبُوا لَکَ الاَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلاَ یَسْتَطِیعُونَ سَبِیلاً – تَبَارَکَ الَّذِی إِن شَآءَ جَعَلَ لَکَ خَیْراً مِّن ذَلِکَ جَنَّاتٍ تَجْرِی مِن تَحْتِهَا الاَنْهَارُ وَیَجْعَل لَّکَ قُصُوراً – بَلْ کَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَن کَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِیراً – إِذَا رَأَتْهُم مِن مَکَانٍ بَعِیدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَیُّظاً وَزَفِیراً – وَإِذَآ اُلْقُوا مِنْهَا مَکَاناً ضَیِّقاً مُقَرَّنِینَ دَعَوْا هُنَالِکَ ثُبُوراً – لاَ تَدْعُوا الْیَوْمَ ثُبُوراً وَاحِداً وَادْعُوا ثُبُوراً کَثِیراً – قُلْ أَذَلِکَ خَیْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِی وُعِدَ الْمُتَّقُونَ کَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِیراً) (الفرقان / ۷ – ۱۵).

شبهات تافهة

ان الله – تعالی – یستعرض لنا فی الآیات السابقة الشبهات التافهة التی أثارها المشرکون والکفار تجاه الرسالات الالهیة متمثلة فی الانبیاء والرسل؛ فکیف یمکن ان یمشی الرسول فی الاسواق ویأکل الطعام، فهو اذن انسان عاجز ضعیف لا یتفوق علینا، فهو یجوع، ونحن نجوع أیضا، وعندما یحل وقت الطعام یجلس علی المائدة کما نجلس نحن، ومن الناحیة الاقتصادیة فانه هو الآخر یحتاج الی الاموال کما نحتاج نحن الیها، وهو محتاج الی ان یعمل، ویمارس التجارة فی الاسواق لکی یؤمن رزقه. فلماذا یعمل، ولماذا لا تنزل علیه من السماء الاموال، والذهب، والفضة لکی یستغنی بها عن مزاولة الاعمال؟ولذلک فان الکفار کانوا یطالبون ان ینزل مع الرسول ملک فیکون معه نذیراً، وبعبارة اخری فانهم کانوا یریدون ان یؤمنوا بالرسالات من خلال القوة والخضوع، فی حین ان سنة الله – تعالی – اقتضت ان یؤمن البشر بالرسالات الالهیة من خلال الاقتناع بها، ومن خلال الوصول الی مستوی من النضج یؤهلهم لان یصبحوا مؤمنین حقیقیین.لقد کان باستطاعة الخالق – عز وجل – ان یخلق أناسا یعبدونه کما تعبده الملائکة، ولکنه اکرم الانسان بالارادة، لکی یعبده هذا الانسان بارادته وحریته واختیاره.وهناک – بالاضافة الی ذلک – الظالمون الذین کانوا یقولون کلاما اخطر من ذلک یرویه – تعالی – فی قوله: (وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلاَّ رَجُلاً مَّسْحُوراً) (الفرقان / ۸).فهؤلاء الظالمون اتهموا الانبیاء بالجنون، وهی أسوأ تهمة یتهم بها الانسان، والقرآن الکریم، ان هؤلاء الظلمة ماهم إلّا مجموعة من الضالین: (انظُرْ کَیْفَ ضَرَبُوا لَکَ الاَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلاَ یَسْتَطِیعُونَ سَبِیلاً) (الفرقان / ۹).فهم یقولون کلاما فی کل یوم فیقولون ان الرسول مجنون، ولم یفکروا فی ان الانسان المجنون لایمکن ان یکون حکیما، ولا یستطیع ان یدیر دولة، او یقود جیشا وأمة، ویؤسس حضارة، وأی مجنون ذلک الذی یستطیع القیام بکل هذه الأعمال؟!ولکن القرآن الکریم یکلهم الی انفسهم، وبتعبیر آخر یرد تهمةالجنون الی انفسهم لانهم لا یعون ما یقولونه، وما ینشرونه من ضلالات وأباطیل.

الدنيا ليست نهاية المطاف

ثم يستأنف - عز وجل - قائلا: (تَبَارَكَ الَّذِي إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْراً مِّن ذَلِكَ) (الفرقان / ١٠).فالقرآن يرشد الانسان الى ان هذه الدنيا ليست نهاية المطاف بل هى قنطرة للآخرة، ولذلك فان الله - تعالى - لم يعط للانبياء شيئاً كثيراً منها لأنها هينة عنده، فلو كانت هذه الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة لما جعل للانسان الكافر فيها من حاجة.اما نحن فان الدنيا تعتبر عندنا من القضايا المهمة فى حين انها كلها خداع نخدع من خلاله انفسنا، لان الدنيا لابد ان تنتهى بالموت، والانسان لايعرف متى سيرحل عنها، وكلما جمع الانسان من هذه الدنيا اكثر، فان حسرته عليها حين يفارقها ستكون اشد، وفى الآخرة سيكون حسابه ووقوفه لهذا الحساب اطول.ان الله - تعالى - ليس من صفاته ان يكرس القيم الزائفة، بل يريد ان يخرج الناس من ظلمات الدنيا الى نور الآخرة، من قيم المادة الزائفة الى القيم المعنوية الحقيقية، وان اولئك الظالمين انما اهتموا بهذه الدنيا لانها مبلغ علمهم، ولانهم يعتقدون انها نهاية المطاف كما يقول - تعالى -: (بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيراً) (الفرقان / ١١).فلا تغمض عينيك ايها الانسان لتقول ليست هناك آخرة، بل افتحهما لكى تراها، فالذى يغمض عينيه يتحمل ذنبان؛ ذنب ضلالته، وذنب الجريمة التى يرتكبها، فالانسان الذى يغمض عينيه وهو يمشى ثم يقع فى البئر فانه يذم من قبل الناس مرتين؛ مرة لانه ابتلى وسقط فى البئر فكسرت رجلاه - مثلا -، ومرة لان الناس سيلومونه على اغماضه لعينيه، وهكذا الحال بالنسبة الى الانسان عندما يكذب بالساعة فانه سيعانى من مشكلتين؛ المشكلة الاولى تتمثل فى الذنوب التى ارتكبها بسبب تكذيبه بالساعة، والمشكلة الثانية تتجلى فى اصل تكذيبه بالساعة.ومثل هذا الانسان سيكون مصيره ان يلقى فى نار مستعرة مسجرة لغضب ربها: (وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيراً - إِذَا رَأَتْهُم مِن مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظاً وَزَفِيراً) (الفرقان / ١١ - ١٢).وانا لا ادرى بالضبط كم تبلغ هذه المسافة التى يصفها القرآن الكريم بانها بعيدة، إلا ان الكافرين يسمعون لهذه النار التغيض والزفير، فاذا بالنيران تضرب بعضها بعضا، فكيف بهذا الانسان الذى لايستطيع ان يتحمل ضوء الشمس فى الشتاء، كيف يستطيع ان يتحمل ذلك السعير، وتلك النيران التى يقال ان الشمس نفسها سترمى فيها يوم القيامة فتضج من حرها!!

متى سيحل الأجل؟

اننا لانعرف متى سيحل اجل الواحد منا، وهل سنبقى على قيد الحياة الى ساعة بل ثانية أخرى، فالى متى نبقى فى الغرور، والى متى نبقى غير مؤدين بالشكل الصحيح لصلاتنا، وصيامنا؟ وحتى متى نستمر فى سلوكياتنا الخاطئة، حتى يأتينا النداء للرحيل، فلا نستيطيع ان نعيش ولو للحظات اخرى مهما الححنا على ذلك لنتوب ونرجع الى الله - تعالى -؟ كما يبين ذلك القرآن الكريم فى قوله: (وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ) (الانعام / ٢٨).ثم يستأنف - عز من قائل - قائلا: (وَإِذَآ أُلْقُوا مِنْهَا مَكَاناً ضَيِّقاً مُقَرَّنِينَ دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُوراً - لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُوراً وَاحِداً وَادْعُوا ثُبُوراً كَثِيراً) (الفرقان / ١٣ - ١٤).وتصف الروايات هذا المكان الضيق بانه كالحيز الذى يحدثه الوتد فى الارض او الجدار، فمن الصعوبة بمكان ان يدخل الوتد فى الجدار، وهكذا الحال بالنسبة الى الانسان فى يوم القيامة فانه يدخل فى النار بعد ان يضرب على رأسه كما يضرب المسمار عندما يدق فى الجدار. فقد روى عن الامام الصادق (عليه السلام) يقول ": والذى نفسى بيده انهم يستكرهون فى النار كما يستكره الوتد فى الحائط [٣٦] .والكافرون الظلمة يحشرون فى نار جهنم (مقرنين) أى على شكل مجموعة ملتصقة ببعضها البعض ثم يرمون فى النار وهم على هذه الحالة. ثم يبين لنا القرآن الكريم ان هؤلاء الظلمة سوف يلعنون انفسهم، فالانسان عندما يقع فى مصيبة كبيرة فانه يلعن نفسه خصوصا إذا كان هو المتسبب فى هذا المصير الذى آل إليه.ويسخر - تعالى - من هؤلاء قائلا لهم: (لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُوراً وَاحِداً وَادْعُوا ثُبُوراً كَثِيراً) (الفرقان / ١٤).ترى لماذا لم يستغلوا الفرص التى سنحت لهم فى الدنيا؛ لقد قرأتم القرآن، وسمعتم النصائح، ولكن كل واحد منكم قال ان هذا الكلام لا يعنينى، فى حين انهم كلهم معنيون دون استثناء.ويقول - عز وجل - مقارنا بين هذا المصير الذى انتهى إليه اولئك المكذبون بالرسالات قائلا:(قُلْ أَذَلِكَ

خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ الْخُلْدِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيراً - لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ خَالِدِينَ كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْداً مَسْؤُولاً) (الفرقان / ۱۵ - ۱۶).ان هذه المجموعة الكريمة من الآيات جاءت فی مقام التأكيد على حقيقة ان الرسل هم على حق رغم ما تعرضوا له من تلك التهم الرخيصة الى درجة انهم فقدوا الدنيا وما فيها من بهارج، ولكنهم - مع ذلك - كانوا على حق، وأعداؤهم على باطل، ذلك لأن هؤلاء الرسل والذين آمنوا بهم كسبوا الحياة الاساسية المتمثلة فی الآخرة، فی حين ان اعداءهم لم يكسبوا سوى الدنيا الزائلة على حساب فقدانهم للحياة الأخروية وما أعد فيها من نعيم.

الهدف الحقيقی من طلب العلم

ان هذه الحقيقة تعنی اننا يجب ان نحصن انفسنا امام الاعلام المزيف، والدعايات المضللة، والافكار السلبية، والتبريرات الواهية، فيجب على الواحد منا - مثلاً - ان لا يدرس العلم لكی يقول للناس اننی عالم، فما فائدة العلم الذی يملأ الانسان غروراً، ويجعله يأمل ان يشغل المناصب المهمة، بل علينا ان نتلقى العلم لكی ينفعنا فی الآخرة، ولنخلص نياتنا ولنسع من أجل ان تكون طاهرة زاكية.ان هدف الانسان من تعلم العلم هو ان ينفعه، وبالتالی ان يكون سببا لانتفاع الآخرين منه لا أن يخزنه فی قلبه، فاذا طلب منه ان يقوم بالتبليغ فی منطقة ما فعليه ان لا يمانع، وللأسف فان بعض المتعلمين عندما يطلب منهم ان يتوجهوا الى منطقة ما للتبليغ فانهم يمتنعون عن ذلك مختلقين العشرات من التبريرات، ومن حقنا ان نسأل هؤلاء: لماذا درستم العلم اساساً؟ هل لكی تختلقوا مثل هذه التبريرات؟ان مثل هذا الانسان عليه ان يراجع نيته عندما بدأ بدراسة العلم؛ فهل كانت نيته خالصة ام كانت تخالطها بعض الشوائب الدنيوية، فاذا ما اكتشف ان نيته لم تكن خالصة فعليه ان يسعى منذ الآن من أجل ان يكون مخلصا، فالانسان لايمكن ان يخرج من هذه الدنيا من دون ان يتعرض للامتحان، وهذا الامتحان يتجلى بالنسبة الى طالب العلم فی ان يكون جنديا مخلصا فی سبيل الله - تعالى - ودعوته عن وعی وايمان.

لماذا نستصغر انفسنا؟

ان الواحد منا لم يؤمن بالدين على اساس كلام الآخرين، بل نحن نمتلك الوعی والعقل، فلماذا - اذن - نحتقر انفسنا، ونستصغرها، ولماذا لا نكون جنودا مضحين فی سبيل الله - عز وجل -، ومن اجل القيم والمبادئ التی نؤمن ونلتزم بها؟ان التهم التی وجهت الى النبی (صلى الله عليه وآله) وسائر الرسل (عليهم السلام) انما هی دروس لنا، فمن يدعی انه داعية الى الله - تعالى - فعليه ان يصمد امام التهم، والتيارات الضالة التی تحاول ان تمتص حالتنا الثورية الايمانية، وان نواجهها بقوة واقتدار، لا لكی ننتصر، فالنصر أمر ليس بايدينا بل هو بيد الله - جل وعلا -، ولكن لان الله اعد الجنة لمن استقام، والنار لمن ضل وانهار.

طريق الرسالة شائك

ان الذی يستيطع ان يتسلق الجبل لابد ان يصل الى قمته فيرى نتيجة عمله وهی الجنة هناك، اما الذی يسقط فی الطريق، ويهوی الى الوادی، فانه - فی الحقيقة - قد هوی فی نار جهنم، ولذلك فان علينا ان نستقيم لوجه الله - تعالى - لا من أجل المغانم الدنيوية، والاطماع الآنية، فنحن لا نعد احدا فی هذا المجال انه سيحصل على بيوت مجهزة، وسيارات فاخرة إذا ما انضم الى حركتنا الجهادية، كلا، فطريقنا هو طريق الجهاد، والدم، والتضحيات، والسجون، والاعتقال، والتعرض الى التعذيب، والمحن.ترى لماذا يتراجع البعض بمجرد ان تتراجع القضايا المادية فی الحركات التی ينتمون اليها؟ وهل يدل موقفهم هذا على خور عزائمهم، وضعف ايمانهم، وعدم خلوص نياتهم منذ البدء؟ الجواب بالايجاب بالتأكيد، فلنتركهم يبررون، فمثل هذه التبريرات لايمكن ان تنفعهم يوم القيامة، بل على العكس من ذلك، فهذه المعاذير هی بحد ذاتها جريمة.وعلى سبيل المثال فان الانسان الذی لا يصلی، ويدعی ان الصلاة غير واجبة

فان جریمته هذه مضاعفة، وکذلک الحال بالنسبة الی الذی ینسحب من الساحة ویثیر حوله الغبار والدخان لکی یبرر انسحابه، ویتهرب بذلک من عتاب ولوم الآخرین، فان هذا التبریر هو بحد ذاته کذب، والکذب حرام بل ان بعضه افتراء علی الله - سبحانه وتعالی - .فلنحاول ان نقبل علی العمل الرسالی بقلوب متفتحة، ونیات خالصة، واذهان واعیة، لکی نضمن استمراریة هذا العمل رغم الصعاب، والعقبات التی من المؤکد اننا سنواجهها فی هذا الطریق الذی نستهدف من السیر فیه مرضاة الخالق وجناته.

الرسالة الاسلامیة مشروع البشریة جمعاء

اشاره

لایمکن لأی مبدأ او مشروع او نظریة وضعیة ان یقوی علی الوقوف فی موازاة الاسلام من حیث شمولیة الانسانیة جمعاء، وتغطیة حاجاتها فی هذه الحیاة الدنیا. فالاسلام هو المشروع الانسانی الوحید الذی یتمتع بهذه الشمولیة، ویستطیع ان یتحدی کل المبادئ والافکار والنظریات والقوانین التی ابتدعها الانسان.ان الانسان فی هذا الکون هو واحد من ثلاثین ملیون نوع من الاحیاء التی تدب علی کوکبنا، وعندما یکون الحدیث عنه من زاویة معینة نجد انه ینقسم الی تقسیمات عدیدة حسب المعاییر المادیة، ولکننا عندما نحیط به وننظر الی جوهره نجده ذلک الانسان الواحد، ذا الفطرة الواحدة، والطبائع والمصالح المشترکة، والقوانین والسنن الالهیة الواحدة.وعندما یصوغ هذا الانسان فکرة، او یخطط لمشروع، او یضع منهجا ما فان فکرته، او مشروعه، او منهجه یتأثر حسب موقعه ومحیطه. فلو کان الانسان یعیش فی منطقة حارة - مثلاً - فان مشروعه سیتأثر بهذه البیئة ومناخها، وإذا کان هذا الانسان غنیا فان منهجیته فی التفکیر ستتبلور متأثرة بالترف الذی یعیشه، فیکون مشروعه هذا منسجما ومتلائما مع ما یرومه المترفون، اما إذا کان فقیراً معدماً فان مشروعه سترحب به الطبقة الکادحة الفقیرة وهکذا...

المشروع الاسلامی منهاج عالمی

وعلی العکس من ذلک فان المشروع الذی قدمه الاسلام کان وما یزال یمثل منهاجا عالمیا کونیا یتناسب مع کل العصور والازمنة منذ بعثة النبی الاعظم (صلی الله علیه وآله)، وحتی قیام الساعة. وهنا یکمن سر عظمة هذا الدین الالهی، والرسالة الربانیة الخاتمة، وفی اطار هذا الشمول والاحاطة تبرز عظمة القرآن الکریم ومعجزته. فالانسان مهما بلغ تعمقه وتبحره، ومهما خاض فی بحار الفلسفة التی تبنی علی اساسها الافکار والمنهجیات فانه یبقی ذلک الکائن المحدود فی فکره، فلابد ان تتعلق بتفکیره ومنهجیته التی یصوغها خیوط العاطفة مهما حاول قطعها، فیبقی بذلک محدوداً ومؤطراً بسائر المحدودیات والاطر سواء البیئیة، او المناخیة، او العنصریة وما الی ذلک، فی حین ان ذلک المنهج الذی تبعثه السماء لا یشوبه ادنی شائبة من تلک الشوائب التی تدل علی الضعف والنقص والحاجة.فعندما یضع الانسان مشروعا فانه سوف یصوغه بالشکل الذی یرتضیه هو ومن یرتبط به من مجتمعه، ولکن رب العالمین عندما یضع مشروعا او یقر مبدأ او منهجا او قانونا فانه یضعه بحیث یتلاءم مع جمیع من علی هذه الارض من بشر.

مشاریع ناقصة

من کل ذلک یتبین لنا ان المشاریع الحضاریة التی تصاغ هنا وهناک تبقی مشاریع ناقصة تؤمن مصالح فئة معینة دون الأخری وربما علی حسابها، وعلی سبیل المثال فان الامیرکیین عندما یفکرون فی مشاریعهم، ویخططون لها فان تفکیرهم هذا ینطلق مما یؤمنون به من منطق، ویتلاءم مع ظروفهم، وبما یوفر لهم مصالحهم، وعلی سبیل المثال فان الرئیس الامیرکی الاسبق (جورج بوش) عندما فکر فی تحریر الکویت فان اختیاره وقع علی اتباع الاسلوب الذی لا یتسبب فی ازهاق روح جنوده، فالذی وضع هذه الاستراتیجیة لم یفکر

کم سیقتل ویباد من ابناء العراق، فهذا غیر مهم عنده!هکذا یخطط الامیرکیون، ویصوغون مشاریعهم، وستراتیجیاتهمالعدوانیة وذلک من زاویة صیانة مصالحهم، واستمرار نهبهم، ولا یهمهم بعد ذلک ما یجری علی الآخرین من مصائب وویلات.وفی المقابل فاننا لو استعرضنا الرسالات الالهیة التی اضطلع بها الانبیاء والمرسلون فاننا سوف لا نجد فی عملهم، وحرکتهم ادنی ذرة من تلک الستراتیجیات، والمشاریع المصلحیة، وحاشا لهم ان یفکروا فی ذلک ولو للحظة واحدة، فما عند الانبیاء لیس من أنفسهم وانما هو من عند الله – تعالی – من الوحی المبین، ولذلک فان رسالة الرسول رسالة شاملة تهتم بجمیع افراد البشریة ایا کانت انتماءاتهم.

مشروع الرحمة

وعلی هذا فان المشکلة تکمن فی انعدام المشروع الالهی الکونی الذی جاهد الانبیاء والرسل والاوصیاء من أجله؛ المشروع الانسانی الکونی الشامل الذی یعطی لکل وجود حقه، وهو المشروع الذی کانت ومازالت الانسانیة فی کل عصر ودهر بأمس الحاجة الیه، والذی یمکن ان نسمیه ایضاً ب " مشروع الرحمة " انطلاقاً من قوله – عز وجل -:(وَمَآ أَرْسَلْنَاکَ إِلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِینَ) (الانبیاء / ۱۰۷).وقبل فترة لیست بالبعیدة طرح احد الخبراء الامیرکیین مشروعاًعلی صندوق النقد الدولی یقضی بنقل الصناعات التی تسبب تلوث البیئة الی البلدان النامیة لکی تتخلص شعوب البلدان المتقدمة من النفایات، والمواد السامة الناجمة من هذه الصناعات، ولیس مهمّاً فی هذا المشروع الانانی ان تبتلی شعوب البلدان النامیة بهذا التلوث، بل المهمّ ان تسلم رئة الامیرکی ولا یصیبها ای اذی ولو علی حساب البشر فی البلدان الفقیرة!بهذه الروح، والتوجهات الانانیة یضع الغربیون خططهم ومشاریعهم، وهذا الأمر لیس بالجدید فی تأریخهم، فالسنوات الأخیرة وقبلها شهدت أموراً کهذه وخاصة بالنسبة الی عملیات تصدیر النفایات التی تجری بصورة سریة فی أغلب الاحیان، وهذه هی تجارة الموت الصادرة من مشاریع انانیة تتسم بروح الجریمة والعدوان.ان هذه وغیرها من المشاریع والافکار والمخططات المصلحیة ذات المنظار الضیق والمحدود تشهد علی الحاجة الشدیدة للانسانیة الی نهج الرسالات المتجسدة فی خاتمتها، والتی جاء بها الرسول النبی الأمی الذی بعث رحمة للعالمین، والذی تمثل شخصیته قمة الانسانیة الخیرة والرحیمة، والحاجة الی هذه الشخصیة ماتزال ملحة.فلنتصفح التأریخ، ولننظر کیف کانت الحالة المزریة التی عاشهاالعرب قبل اشراقة الاسلام علی الجزیرة العربیة وعلی العالم، ولعل ابرز ما یعکس هذه الصورة السوداء دفنهم لبناتهم وهن احیاء بغیر رحمة ولا شفقة، وحالة الاقتتال والغارات التی کانت تحدث بین قبائلهم، وسیادة قانون الغاب حیث القوی یأکل الضعیف.ولننظر بعد ذلک کیف انقلبت احوالهم تلک بعد فترة زمنیة وجیزة من بعثة النبی (صلی الله علیه وآله) الیهم والی العالم اجمع، فحدث علی أثر ذلک انقلاب جذری وعمیق فی طباعهم واخلاقهم، وتحولوا من تلک الطبیعة الجافة، والقلوب القاسیة الی اناس یتعاملون بالرحمة واللطف واللین والایثار والبذل، بل صاروا اخوة فی الایمان، واما فی العبادة والطاعة فان اجواف اللیالی کانت شاهدة علیهم.

اویس أخو رسول الله

ولعل احدهم (اویس القرنی) الصحابی الجلیل الذی لم یر الرسول (صلی الله علیه وآله) ولکنه لقب ب (الصحابی) لعظیم ایمانه، وخلقه، وکثرة طاعته وعبادته رغم انه لم یصحب الرسول، ولم یشاهده، ولم یوفق لزیارة المدینة إلا مرة واحدة من أجل التبرک برؤیة النبی (صلی الله علیه وآله)، ولکنه عندما وصل إلیها کان الرسول قد خرج منها فی احدی غزواته، فقفل راجعاً منها الی قریته " قرن المنازل. " لکنه ترک أثراً لم یحس به إلاّ رسول الله (صلی الله علیه وآله) عندما عاد الی المدینة فقال: اشم رائحة الایمان، فمن الذی جاء الی هنا؟ فقیل له: یا رسول الله انه شاب دخل المدینة علی راحلته لرؤیاک فلما لم یجدک غادرها وهو مایزال علی راحلته لم ینزل عنها. فعرفه الرسول (صلی الله علیه وآله) وقال: ذاک أخی " أویس القرنی." ویتحدث التأریخ عن هذا الصحابی الجلیل انه کان یحیی لیالیه مع اصحابه لیلة بالدعاء والتوسل ومد ید الضراعة الی الله، ولیلة بالسجود الطویل، واخری بالرکوع المستمر، وهکذا حتی یطل

الفجر وكأنها ليالى القـدر المباركـة.وروى عنه (اويس القرنى) رحمه الله عليه " قال لرجل سأله كيف حالك؟ فقال: كيف يكون حال من يصبح يقول لا أمسى، ويمسى يقول لا أصبح. يُبشر بالجنـة ولا يعمل عملها، ويحـذر النار ولا يترك ما يوجبها. والله إن الموت وغصصه وكرباته وذكر هول المطلع وأهوال يوم القيامـة لم تـدع للمؤمن فى الـدنيا فرحاً، وان حقوق الله لم تبق لنا ذهباً ولا فضة، وان قيام المؤمن بالحق فى الناس لم يـدع له صـديقاً ["... ۳۷] .وبهـذه الصورة وغيرهـا من آلاف الصور تحولت تلك القلوب التى كانت كالحجارة أو أشـد قسوة، وذلك الجفاء الـذى جعل الواحد منهم يقتل اخاه ربما من أجل بضع تمرات، الى قلوب رحيمة، ونفوس لينة بفضل الرسالـة المحمدية المباركة، فما احوج البشـرية اليوم الى اشـراقة جديدة لهذا الرسول ورسالته العظيمة.ولقد احس بهذه الحاجة كل من اطلع ولو على اليسير من آفاق هذه الرسالة من غربيين او شرقيين فضلا عن المسلمين انفسهم، فهذا هو (جاك اتالى) الشخصية الفرنسـية العالميـة المشـهورة، والـذى يرأس حاليا بنك التنمية الاوروبى تحدث فى كتابه الذى صدر حديثا والذى يحمل اسم " آفاق المستقبل " عن مشاكل الانسانية ومآسيها مبينا فيه كيف ان البشـرية باتت تسير بسرعة هائلة نحو فنائها، شارحا لذلك الاسباب، ومن ضمنهـا التـدهور البيئى الـذى يقف على رأس هـذه الأسـباب، كما وتعرض للحـديث عن الحروب، والازمات الاقتصاديـة، والكثير من المشاكل، و المعضـلات التى تقض مضـجع البشرية، ثم ينتهى فى كتابه الى تقرير الحقيقة التى لابد له ولغيره من المفكرين ان يعترفوا بانها هى التى تضع حـداً للمأساة والمعاناة الانسانيـة الكبرى حيث يقول:بلى؛ فلا خلاص للبشـرية وليس امامها إلاّ مخرج واحد وهو ان يأتيها منقذ كمحمد (صلى الله عليه وآله) فاذا جاء من هو مثلهانكشفت هموم وغموم البشرية.

انتظار الأمل لا يعنى السكوت

وبـالطبع فاننـا كمؤمنين بانتظـار ذلك الأمل المشـرق المتمثل فى حفيـد النبى الأعظم (صـلى الله عليه وآله)، الامام الحجـة بن الحسـن العسـكرى - ارواحنا لمقـدمه الفـداء -، ولكن هـذا لا يعنى ان نعيش اليأس حتى ساعـة الظهور المباركـة، فالقرآن والنهـج النبوى هما اللذان يأخذان بالبشـرية نحو الآفاق المشـرقة فى عصـر الغيبة الكبرى، ثم هناك علماؤنا ومراجعنا الكرام الذين هم امتداد لأئمة الهدى المعصومين، وبهـذين النهجين وبجهود واجتهاد المراجع العظام يوضع المشـروع الانسانى الكونى للحياة، هذا المشـروع الذى لا يخص قوما، او طائفة، او عنصـرا دون آخر، كما ان هذا المشـروع الالهى الشـمولى الذى وضع أسسه، وبنى هيكله الخالق - تعالى - لا يقف عند الانسان وحده، بل انه يشمل الوجود كله بأحيائه وجماده، ففيه مراعاة لحقوق كل كائن، وهو يستثمر كل طاقة من أجل بناء الحياة الفضـلى.ان الانسـان عنـدما يـأوى الى الاسـلام ويرتـدى ثـوبه، ويلبس لبـاس التقوى، يغـدو كائنـا متطورا تنطبق عليه معـانى الانسـانية الحقيقية، فيصبح ذلك الموجود العاقل الذى يستطيع ان يعيش بين احضانالطبيعة ويتعايش معها.

رحمة للعالمين

ونحن نقرأ فى السـيرة النبوية الشـريفة ونلمس آثارا كبيرة تدل على معنى الشمولية الكونية فى الاسلام، ومن ذلك كيفية تعامله (صلى الله عليه وآله) مع الحيوان، وقـد نقـل عنه (صـلى الله عليه وآله) انه قص جزء من ردائه لاـن قطـة كـانت نائمـة عليه فأبى ان يوقظها من نومها، وفى مرة أخرى نجـده (صـلى الله عليه وآله) يسـقى هـذا الحيوان بيـده الكريمة عندما يلحظ العطش عليه، وتارة يحذر من ايذاء الحيوان فيقول (صـلى الله عليه وآله "): رأيت فى النار صاحب الهرة تنهشـها مقبلة ومدبرة، كانت أوثقتها ولم تكن تطعمها ولا ترسلها تأكل من خشاشـة الأرض. [" ۳۸] .بـل ان رحمته (صـلى الله عليه وآله) شـملت حتى الافاعى التى تقطن فى بعض زوايا البيوت، فنهى عن قتلهـا واصـفا اياهـا بوصف محبب الى النفس قائلاًـ ": لا تقتلوا عوامر البيوت." وهناك ايضاً الكثير من المناسـبات والشواهـد التى دلت وتـدل على ان قلبه الكبير (صـلى الله عليه وآله) كان مفعما بالحب والعطف والرحمة الى درجة انه قال عن نفسه ": انما انا رحمة مهـداة، " ولعـل شـهادة البـارى - عز وجـل - كافيـة فى هـذا المجـال وذلـك فى قوله: (وَمَآ أَرْسَـلْنَاکَ إِلاَّ رَحْمَـةً لِلْعَالَمِينَ) (الانبياء /

۱۰۷).وبعد؛ فهذه هی السیرة والاخلاق التی ینبغی ان نحیاها فی مشاریعنا ومناهجنا ومسیرتنا فی هذه الحیاة، لا الاخلاق المادیة الانانیة التی یتخلف بها الانانیون والمصلحیون. فالمشاریع المادیة الوضعیة لا تتصف إلا بالاخلاق الجاهلیة الجافة، ولا تعیر الی القیم الروحیة والانسانیة ادنی اهمیة، بل لا تعرف إلا الذهب والفضة والدرهم والدینار، وبهذا الاسلوب تعمل علی مسخ الانسانیة.ان هذه المشاریع تفتقر الی معانی التراحم والتعاطف، وبذلک تتفککک فی ظلها الاسر لیتفککک المجتمع کله فیصبح افراده ذئابا مفترسة، وحیوانات یفتک بعضها ببعض، فالمجتمعات البشریة وخصوصاً الغربیة تعج الیوم بالملایین من صور هذا التفککک والانحلال.

تیار عظیم من العاطفة

تری این الغربیون من الاسلام وقوانینه ووصایا الرحمة التی سنها من مثل قوله - تعالی -: (وَبِالْوَالِدَیْنِ إِحْسَاناً) (الاسراء / ۲۳)، وقوله: (وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا کَمَا رَبَّیَانِی صَغِیراً) (الاسراء / ۲۴)، وهذه هی الاخلاق الاسلامیة فی احدی جوانبها الکثیرة، فالاسلام هو تیار عظیم من العاطفة، وهو رحیم حتی باعدائه، ومثل هذا الخلق الاسلامی العظیم نجده متجسدا فی منهج النبی (صلی الله علیه وآله) واهل البیت (علیهم السلام)، ونحن عطاشی الی هذا المنهل العذب، ولذلک فان من الواجب علینا ان نستثمر سیرة الرسول (صلی الله علیه وآله) فی حیاته الشریفة لکی نحیی فی هذه الدنیا حیاة مثالیة ملؤها السعادة والأمل والهناء ومع کل الناس فی مختلف المجتمعات والأمم فی الارض.

کیف نحقق السعادة الروحیة؟

ان مثل هذه الحیاة المقرونة بالسعادة الروحیة، والراحة النفسیة، واطمئنان القلب نجدها متجلیة عند علمائنا ومراجعنا العظام، فتری الواحد منهم یحمل قلب الفتوة والشباب بما نستشعره منه من روح الظرافة، وحسن المجاملة رغم انه قد یناهز المائة سنة من العمر، وعندما یتوفاهم الأجل فانهم یرحلون عن هذه الدنیا وهم فی کامل صحتهم. وکل هذا مستوحی من آداب واخلاق القرآن والسیرة النبویة الشریفة، ولو أخذنا بهذه الاخلاق، وطبقناها فی حیاتنا لعشنا السعادة الروحیة، والاطمئنان القلبی فی اجواء مفعمة بالایمان والتقوی وحب الله - سبحانه وتعالی - وحب رسوله وأهل بیته المیامین.ومن أجل تحقیق هذا الهدف ینبغی ان نلتزم بأربعة أمور مهمة:۱- مطالعة السیرة النبویة الشریفة والعمل بها ما امکننا، ففی بعض البلدان الاسلامیة جرت عادة المسلمین هناک علی ان یعقدوا الجلسات الخاصة التی یتداولون فیها السیرة النبویة، واحوال النبی (صلی الله علیه وآله) وصحابته الخلص؛ کیف ولد ونشأ، وکیف بعث بالرسالة، وکیف کانت دعوته ومن ثم جهاده وغزواته؟ بل وکل ما یتعلق به (صلی الله علیه وآله) واصحابه (رض) من مآثر واخلاق کریمة وفضائل ومناقب.وللأسف فاننا نکاد نهمل هذا الجانب المهم من السیرة النبویة، بل ربما لم یقرأ احدنا کتابا کاملا عن حیاة النبی الاعظم (صلی الله علیه وآله)، فی حین ان الامام السجاد (علیه السلام) یشیر الی اهمیة هذا الجانب بقوله ": کنا ندرس مغازی النبی کما ندرس القرآن." ۲- اتخاذ النبی (صلی الله علیه وآله) اسوة وقدوة لنا فی حیاتنا:وفی هذا المجال یقول - تعالی -: (لَقَدْ کَانَ لَکُمْ فِی رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَن کَانَ یَرْجُوا اللَّهَ وَالْیَوْمَ الأَخِرَ وَذَکَرَ اللَّهَ کَثِیراً) (الاحزاب / ۲۱)، وهذا یعنی ضرورة التخلق باخلاق الرسول (صلی الله علیه وآله)، والتأدب بآدابه من خلال تقصی کل صغیرة وکبیرة تتعلق بآدابه، واخلاقه، وطرق تعامله، فقد جاء فی بعض الروایات - مثلا - انه (صلی الله علیه وآله) کان عندما یرید شرب الماء یلتزم بثلاثین ادبا فی هذا الخصوص، وروی عنه (صلی الله علیه وآله) انه کان عندما یجلس بین اصحابه یوزع نظره بینهم، وعند الاشارة کان یؤشر بکل یده الشریفة، وعند المصافحة کان لایترک ید المصافح حتی یبدأ هو بسحبها، وقد قیل ان احدا لم یکن یسبق الرسول (صلی الله علیه وآله) فی المبادرة بالسلام والتحیة.

من آداب الرسول

وهکذا کان (صلی الله علیه وآله) فی حیاته مع أهل بیته، وفی حیاته الخاصة، وفی قیامه، وقعوده، ونومه، وتناوله الطعام، فقد کان (صلی الله علیه وآله) یقسم فترة نومه الی ثلاثة اقسام؛ بان یضطجع قلیلا بعد صلاة العشاء، ثم ینهض لیصلی بضع رکعات، ثم ینام قلیلا، لینهض بعد ذلک فی جوف اللیل وینشغل بالصلاة حتی طلوع الفجر.وعند الطعام لم یکن (صلی الله علیه وآله) یذکر طعاماً تشتهیهنفسه، وما عاب قط طعاما قدم له، ولم یکن یطلب الأکل حتی یقدم له فان لم یؤت له به نهض ونام، وروی عنه (صلی الله علیه وآله) انه ما ثنیت له وسادة إلا فی مرة واحدة جعلته یتأخر عن صلاة اللیل، فما کان منه إلا أن نهض وعاتب اهله قائلا ": من ثنی لی وسادتی فأخرنی عن لقاء حبیبی، " وهذا دلیل علی ان حبه (صلی الله علیه وآله) للصلاة کان حباً جماً.تری هل نحن ننهض للصلاة ولو بالیسیر من هذه الروح، ومن هذا الحب للقاء الله – تعالی –، ام ترانا ننهض مکرهین ضجرین فلا نعی ما نقول عندما نصلی، أولیس الکثیر منا لایعیر أذنا صاغیة لنداء " حی علی خیر العمل " الذی یدعونا الی تلک اللحظات التی هی جوهر ما فی حیاتنا کلها؟ هذا فی حین ان النبی (صلی الله علیه وآله) یقول ": لا تضیعوا صلاتکم فان من ضیع صلاته حشر مع قارون وهامان، وکان حقاً علی الله أن یدخله النار مع المنافقین. فالویل لمن لم یحافظ علی صلاته وأداء سنة نبیه (صلی الله علیه وآله [") ۳۹] .این نحن من ادب النبی (صلی الله علیه وآله) عندما کان یجلس فی محرابه لینتظر حلول وقت الصلاة لحظة بلحظة، فما ان یدخل وقتها حتی ینادی بلالا (رض) ان ": ارحنا یا بلال بالصلاة [" ۴۰] ، کما انه (صلی الله علیه وآله) کان یوصی ویؤکد علی أهمیة الصلاة بقوله ": قرة عینی فی الصلاة [" ۴۱] .ان الصلاة هی حصن التوحید واطاره، وعندما ندخل هذا الحصن تنهمر علینا سائر البرکات التی نرجوها فی حیاتنا، ولذلک فان علینا ان نهتم بالصلاة کثیرا کما نهتم بصحتنا وسلامتنا.۳- حب الرسول (صلی الله علیه وآله) واهل البیت (علیهم السلام) واکثار الصلوات علیهم.ان حب الرسول (صلی الله علیه وآله) یتجلی بذکر الصلاة علیه وعلی آله المیامین، ودرجة الانسان المؤمن فی الآخرة ترتفع بمقدار حبه للنبی (صلی الله علیه وآله)، والذی یحب الرسول لابد ان یحب أهل بیته، والمحب لأهل البیت (علیهم السلام) هو محب لشیعتهم، ولکل فرد من امة محمد (صلی الله علیه وآله).وهکذا فان الصلاة علی النبی (صلی الله علیه وآله) تمثل کل الفضیلة ذلک لان فی الصلاة هذه ذکرا لله – عز وجل –، ودعاء للامة الاسلامیة، فعندما یصلی الانسان المؤمن ویسأل الله تعالی ان یرفع درجته فان فی عمله هذا رفعا لدرجته هو ایضا عند الله، ونحن – سواء کنا فی العراق أم فی ایران أم فی لبنان أم فی افغانستان أم فی البوسنة والهرسک – عندما نصلی علی النبی (صلی الله علیه وآله)، فانه – سبحانه – سیکشف عنا غمومنا وهمومنا، ویسر لنا ما تعسر من أمورنا، وما صعب من مشاکلنا.ولذلک ینبغی علینا ان نکثر من هذه الصلوات، وان نؤکد علیها فی کل محفل ففیها محبة للرسول وآله، وبالتالی الحب لله – تعالی شأنه –.۴- العمل بنهج الرسول (صلی الله علیه وآله)، واوامره ونواهیه، وهذا ما یدعونا الیه القرآن الکریم، وما غاب عنا من هذه الأوامر والنواهی نجده عند ائمتنا (علیهم السلام) الذین هم عدل الکتاب، وثانی الثقلین.

العالم یبحث عن رسالة محمد

اشاره

وأد البنات صورة واحدة من الصور التی کانت تتکرر فی الجزیرة العربیة قبل بعثة النبی محمد (صلی الله علیه وآله)، وعندما بعث (صلی الله علیه وآله) ورزقه الله – تعالی – الکوثر (الزهراء علیها السلام)، علم هذا المجتمع القاسی الفاقد للعاطفة کیف یتعامل مع الفتیات من خلال تعامله السامی مع ابنته فاطمة (علیها السلام) فقال فی حقها ": فاطمة بضعة منی من آذاها فقد آذانی [" ۴۲] ، وقال ایضاً ": فاطمة ریحانتی "، " فاطمة حوریة فی صورة انسیة، " وعندما کانت (علیها السلام) تأتی الی النبی (صلی الله علیه وآله) کان ینهض واقفا ویستقبلها ثم یأخذ یدها ویقبلها ثم یقول ": فاطمة أم أبیها. " وبهذه الکلمات حوّل النبی (صلی الله علیه وآله) ذلک المجتمع الجلف العاتی، الی مجتمع یفیضعاطفة وانسانیة وحباً.وقد کانت هناک صور أخری لجاهلیة هذا المجتمع قبل الاسلام، فکل

قبيلة كانت ترى ان افرادها يجب ان يبلغوا عدداً معيناً لا يتجاوزونه، فان ولد فيهم مولود جديد دفنوه حياً! بنتاً كان أم ولداً، لانهم كانوا يزعمون ان الارض التي يعيشون عليها لا تكفي لاطعام اكثر من العدد الذي يحددونه، وهكذا فقد كانوا يئدون الاولاد ويقتلونهم، كما كانوا يئدون البنات ويقتلونهن، فجاء القرآن الكريم ونهاهم عن هذه الممارسة الخاطئة قائلاً: (وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ) (الاسراء / ۳۱).

جاءت الرحمة الإلهية

وجاء الرسول (صلى الله عليه وآله وسلم)، وجاءت معه الرحمة الالهية، ولننظر كيف كان (صلى الله عليه وآله) يتعامل مع الحسنين؛ لقد كان الحسن والحسين (عليهما السلام) يدخلان مجلسه وهو فوق المنبر يعظ المسلمين، ثم يأتي الحسن (عليه السلام)، ويتخطى صفوف الرجال ويعثر ويسقط ارضاً، وإذا بالرسول (صلى الله عليه وآله) يهب من فوق منبره، ويسعى الى شق طريقه وسط الناس، ثم يأخذ بولده، ويحمله الى المنبر وهو يقول ":اولادنا اكبادنا [" ۴۳] .وبهذه الكلمات وغيرها كان (صلى الله عليه وآله) يعبر عن مدى العاطفة التي يجب ان يكنها كل أب تجاه اولاده الذين هم ككبده.كما وروى عنه (صلى الله عليه وآله) في هذا المجال انه كان يحمل الحسنين (عليهما السلام) احدهما على كتف، والثاني على الكتف الآخر ثم يمشي وهو يقول ": نعم الراكبان أنتما." وروى ايضاً عن أنس، وعبد الله بن شيبة عن أبيه أنه دعى النبي (صلى الله عليه وآله) الى صلاة والحسن متعلق به فوضعه النبي (صلى الله عليه وآله) مقابل جنبه وصلّى، فلما سجد أطال السجود فرفعتُ رأسي من بين القوم فاذا الحسن على كتف رسول الله (صل الله عليه وآله) فلمّا سلّم (عليه السلام) قال له القوم: يا رسول الله لقد سجدت في صلاتك هذه سجدة ما كنت تسجدها كأنما يوحى إليك فقال (صلى الله عليه وآله "): لم يوح إليَّ ولكن ابني كان على كتفي فكرهت أن أعجّله حتى نزل [" ۴۴] .وفي رواية اخرى أنه (صلى الله عليه وآله) قال ": إن ابني هذا ارتحلني فكرهت أن أعجّله حتى يقضي حاجته [" ۴۵] .بهذه الاخلاق السامية، والعواطف الفياضة بالحنان كان (صلى الله عليه وآله) يتعامل مع الاطفال، فلنقارن صورة الأب الذي يأخذ ابنته او ابنه ليدفنهما احياء مع صورة النبي (صلى الله عليه وآله) وهو يعامل الحسنين تلك المعاملة المتدفقة حباً وحناناً.وصورة اخرى اعرضها عن المجتمع الجاهلي وهي؛ ذات مرة هاجمت قبيلة قبيلة اخرى، فأخذوا افرادها اسرى لديهم، وقد كان الهجوم يتم عادة بالمكر والخداع، حيث يباغتون الناس وهم نائمون من دون سابق انذار، وربما من دون اي سبب، فيحتلون موقعهم، ويأخذونهم اسرى، وهنا وقف شيخ القبيلة المغيرة، ووضع الرمح على كتفيه، وبدأ ينشد الاشعار الحماسية ليبين من جهة فضائل قبيلته، ومن جهة اخرى يهجو القبيلة التي انتصروا عليها، وفي هذه الاشعار كان يحرض ابناء قبيلته على الاسرى، فما كان منهم إلا ان قتلوا الاسرى بأجمعهم، وأبادوهم عن بكرة أبيهم.ولنقارن الآن هذه الصورة الجاهلية الوحشية مع صورة الرسول(صلى الله عليه وآله) عندما فتح مكة هذه الارض المقدسة التي كانت تقطنها قبيلة قريش التي سامت الرسول (صلى الله عليه وآله) واصحابه سوء العذاب طيلة ثلاث عشرة سنة؛ فما من فعلة قبيحة إلا وارتكبوها بحق الرسول (صلى الله عليه وآله)، فكانوا يأذونه في الطريق، ويرشقونه بالحجارة، وكانوا يدفعون اولادهم الى ايذائه (صلى الله عليه وآله) و يلقون في طريقه الاشواك، ثم لاحقوه الى المدينة، وقتلوا عمه، وضربوه وجرحوه، وقتلوا اصحابه، وفعلوا به ما فعلوا.

العفو النبوي الأعجوبة

وعندما انتصر النبي (صلى الله عليه وآله) عليهم في فتح مكة، جاء الى المسجد الحرام، وهنا تسمرت اعين الكفار والمشركين على شفتيه، فقال (صلى الله عليه وآله) لهم: ماذا ترون اصنع بكم؟، فقالوا: أخ كريم، وابن أخ كريم، فقال (صلى الله عليه وآله "): اذهبوا، فأنتم الطلقاء [" ۴۶] . وهكذا وبكلمة واحدة اطلق سراحهم، بل واغدق عليهم الاموال، وعفا عنهم!وهكذا فلولا بعثة الرسول (صلى الله عليه وآله) الى الجزيرةالعربية لانقرض بشرها لان الناس كانوا يتقاتلون، وكان الاولاد يقتلون، والبنات في تناقص مستمر بسبب

حماقات الجاهلية، ولكن ادركتهم هنا الرحمة الالهية المهداة، وجاءت لا لتنقذ الجزيرة العربية فحسب وانما البشرية كلها.

محمد.. الأمل

جدير ذكره فی هذا المجال ان احد المفكرين الفرنسيين - المعروفين - كتب كتاباً تحت عنوان " آفاق المستقبل " يقول فيه: ان مستقبل البشرية مهدد لأسباب عديدة، وان الأمور اذا سارت على هذا المنوال فان مستقبل الحضارة البشرية سيكون فی خطر عظيم، وان لا أمل للبشرية سوى ان يأتی شخص مثل محمد (صلى الله عليه وآله) الذی انقذ البشرية فی يوم من الايام، وغير مسارها.وعندما كتب احدهم كتاباً حول اعظم شخصية فی العالم؛ يختار شخصاً واحداً من بين الشخصيات الكثيرة التی ظهرت على مر التأريخ الا وهو رسول الله محمد (صلى الله عليه وآله)، ذلك لانه لم يأت انسان عبر التاريخ المديد للبشرية ترك آثاراً ايجابية على مسيرة الانسانية كالنبی (صلى الله عليه وآله).وهكذا جاء الى البشرية اخيراً المنقذ الذی لا ينقذ منطقة واحدةفحسب، او جيلاً خاصاً، بل ينقذ العالم وعلى امتداد الاجيال، ويملأ نوره الخافقين، وسيبقى هذا النور يشع، ويمتد شعاعه حتى يظهر الله - عز وجل - دينه على الدين كله من خلال ظهور الامام الحجة المهدی (عجل الله فرجه).

كل الايجابيات للاسلام

ان هذا الفصل لا يسع لان احدث عن مختلف الآثار الايجابية لبعثة الرسول (صلى الله عليه وآله)، ولكن اؤكد بإجمال ان ما نجده من آثار ايجابية فی الحضارة البشرية انما هو بفضل تعاليم الاسلام، فالفلاسفة والمؤرخون والمفكرون كلهم يعترفون ان الحضارة الاوربية هی من اشعاعات الحضارة الاسلامية، فالمذهب البروتستانتی - على سبيل المثال - الذی اسسه (لوثر كينغ) انما تأثر بالنظرة التوحيدية الاسلامية، وهذه النظرة هی التی دفعت بالحضارة الغربية الى هذا المستوى الرفيع من التطور والتقدم.واما فيما يتعلق بالعلوم التی انتقلت من الاندلس الاسلامية الى الغرب بصورة مباشرة فالحديث عنها مفصل ومتشعب ومثبت فی كل الكتب التأريخية، ولكن هذا ليس الشوط الأخير فی سلسلة الحلقات المتصلة بهذه الرحمة الالهية؛ اى ان الحضارة البشرية لم تستطع بعد ان تستمد كل النور والهدى من حضارة الاسلام، فالذی استفادته البشرية من القرآن الكريم، ومن النبی (صلى الله عليه وآله) انما هو بصيص من النور.

رحمة استوعبت البشرية

ان اخلاق النبی (صلى الله عليه وآله)، وشمائله، وتعاليمه من شأنها ان تستوعب البشرية كلها، والعالم الآن يعانی من مشاكل وازمات لا تنتهی؛ فهناك صراع الشمال والجنوب؛ اى ان الصراع بين الاغنياء والفقراء يشتد لتبدأ اضطرابات وثورات فی الجنوب، وقمع من قبل الشمال، وبالتالی حروب ومعارك... ترى ماهی جذور هذه المشاكل والازمات، وماهو اصل هذه المفاسد؟

ازمة اخلاق و ضمير

الجواب هو ان البشرية مصابة بأزمة اخلاق وضمير، كما يشير الى ذلك - تعالى - فی قوله:(ظَهَرَ الْفَسَادُ فِی الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِی النَّاسِ) (الروم / ۴۱)، وعلى سبيل المثال فلو ان ترسانات الاسلحة الكيمياوية والنووية وغيرها فتحت لما بقی اى كائن حی على هذه الارض، ومثل هذه الاسلحة انما تستخدم عندما تكون هناك ازمة اخلاق، وعندما تشتهی مصالح واهواء المستكبرين.وعلى هذا فان البشرية اليوم بحاجة الى اخلاق، وبالتحديد اخلاق رسول الله (صلى الله عليه وآله) الذی قال ": انما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق" [۴۷] ، صحيح ان الغربيين يملكون اقتصادا قويا، وان اليابانيين - على سبيل المثال - يضربون الآن الرقم القياسی فی النمو الاقتصادی والتكنولوجی، وارباحهم تقاس بالترليونات، ولكن ذرة من الاخلاق اعظم من كل هذا الربح والامكانيات، فهذه الارباح اين تذهب؟

وما فائدة سیارة ضخمة عملاقة لیس فیها مقود؟ ان ضررها اکبر من نفعها لانها سترمی بنا الی واد سحیق.والحضارة البشریة الیوم تشبه الی حد کبیر سیارة تسیر بسرعة جنونیة دون ان یکون فیها مقود، فهی قوة بلا عقل، واخلاق بدون ضمیر.ان البشریة بحاجة الیوم الی تلک الرحمة الالهیة، الی النبی (صلی الله علیه وآله)، والی من یحمل رسالته، ونحن نفتخر باننا ننتمی الی هذه القدوة الالهیة، ونفتخر باننا سنظل علی هدی رسول الله (صلی الله علیه وآله)، ونعتقد بأن هذه الثروة الحضاریة التی نمتلکها لا یمکن ان تقدر بثمن، ولو اعطونا الدنیا کلها ثم سلبوا منا الولاء للنبی (صلی الله علیه وآله) لما کانت هذه الدنیا تعدل عندنا شیئاً، لان ولاءنا ضمیر، وروح، وحب، ونهج صحیح فی الحیاة.

واجبنا ازاء الرسالة

تری ماذا یجب علینا ان نفعل تجاه هذه الرسالة الالهیة؟علینا ان نزرع الاخلاق الحسنة فی ربوع هذا العالم، شریطة ان نتحلی نحن بها اولا- ثم نکون المثل الاعلی لهذه الاخلاق، ونبشر بها کل الشعوب، فلو عرفت البشریة ماذا تعنی رسالة الاسلام حقاً لتنبهت الیها واهتمت بها.وفی هذا المجال لابد ان لاتغیب عن اذهاننا هذه الحقیقة، وهی ان العالم ظمآن، والذی یروی غلیله لیس إلا رسالة الاسلام، وسیرة النبی (صلی الله علیه وآله)، فعلینا ان نکتب عن حیاته (صلی الله علیه وآله) للعالم قائلین بملء افواهنا: هذا هو النبی الذی ندعو الیه. ولنعلم ان مسؤولیتنا خطیرة، وواجبنا عظیم فی هذا المجال.ان الله - عز وجل - یقول:(یَآ أَهْلَ الْکِتَابِ قَدْ جَآءَکُمْ رَسُولُنَا یُبَیِّنُ لَکُمْ کَثِیراً مِمَّا کُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْکِتَابِ) (المائدة / ۱۵)، فالرسول (صلی الله علیه وآله) جاء لیفصل للناس رسالات الله، ولیبین العلم الحقیقی، ویعفو عن کثیر، ویخفف عن البشریة اعباءها، کما قال - عز من قائل -:(قَدْ جَآءَکُم مِنَ اللّهِ نُورٌ وَکِتَابٌ مُبِینٌ) (المائدة / ۱۵)، فالنور هو النبی (صلی الله علیه وآله)، وهذا النور فی اشعاع أبدی.

رسالة العلم والحیاة السعیدة

اما الکتاب المبین فیقول عنه - عز وجل -: (یَهْدِی بِهِ اللّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ) (المائدة / ۱۶)، فهذه الرسالة هی رسالة العلم لانه نور، ورسالة الحیاة السعیدة لان السلام هو الذی یحققها.ان البشریة کانت تحتاج فی ذلک الیوم الی هذه السبل، وهی الآن مازالت بحاجة الیها، بل انها أحوج ما تکون الیها بسبب الأزمات والمشاکل اللامتناهیة التی تعانی منها فی هذا العصر والتی استعرضنا جانبا منها، فهذه البشریة هی بحاجة ماسة الی (السلام) والامن والاستقرار والسعادة الحقیقیة فی ظل الاسلام، وفی ظل القیادة الالهیة الرشیدة، لیخرجها الله - تعالی - من الظلمات الی النور، ویهدیها الی صراط مستقیم.

کیف ندعو العالم الی نهج النبی؟

اشاره

إذا أردنا ان نقارن الحیاة التی نعیشها بالحیاة التی اراد الله - تعالی - لنا ان نعیشها لکان الفرق هائلا، والفجوة واسعة خصوصا إذا عرفنا ان الانسان یمتلک فرصة لیعیش حیاة کریمة ملؤها الرفاه والسلام والسعادة.وهنا ندرک مدی حاجة البشریة الی رسالات الله - عز وجل - ورسله، والی ذلک الشخص الفذ العظیم المتمثل فی النبی الاعظم (صلی الله علیه وآله) وتعالیمه التی من شأنها ان تجعل من حیاتنا حیاة اخری.

نفوس مکبلة بالقیود

وفی هذا المجال لنلق نظرة الی هذه الدنیا التی نعیشها، ولنبدأ من زاویة واحدة هی زاویة الحالة النفسیة، فلو تمثلت لنا انفسنا فی صورة مجسدة لرأیناها مکبلة بالقیود والاصر والاغلال، ومثل هذه النفوس لا یمکنها ان تعیش سعیدة لانها مسجونة، مکبلة، ترسف فی قیودها، فی حین ان الحیاة التی بشرنا به الاسلام، ودعانا الیها الرسول (صلی الله علیه وآله) هی حیاة طلیقة حرة، حیاة الاخوة، حیاة لا تقیدها الاطماع الرخیصة.وحتی الحیاة فی البلدان الصناعیة المتقدمة التی تبدو قائمة علی الحریة والدیمقراطیة فانها لیست قائمة فی الحقیقة علی الحریة الحقیقیة لان الانسان هناک عبد لشهواته، فأیة حریة لذلک الانسان الذی لا هم له إلا التفکیر فی بطنه وشهواته؟ هل هذه هی الحیاة؟ أم أنها حیاة ذلک الرجل الذی یقول ": والله لو اعطیت الاقالیم السبعة بما تحت افلاکها علی ان اعصی الله فی نملةٍ اسلبها جلب شعیرة ما فعلته ["... ۴۸] .

ثقافة المادة

فلننظر الی تربیة الانسان فی عالم الیوم، والی الثقافة السائدة، انها ثقافة المادة، ثقافة کل همها ادخال الانسان فی معتقلات الدنیا، فما هو الفرق بین الانسان یقید یدیه الی ظهره و یرسف فی قیود مادیة، وبین انسان یخاف من ظله؟ انهما کلاهما یعیشانالموت، فالبخل فقر عاجل، والخوف موت عاجل.اننا نلاحظ الآن – علی سبیل المثال – مدی تورط العالم فی المخدرات الی درجة ان هناک بعض البلدان یتعاطی نصف اهلها المخدرات، والنصف الآخر یتاجر بها کما نلاحظ ذلک فی الولایات المتحدة الامیریکیة، فالاحصائیات تشیر الی ان تعاطی المخدرات فی حالة ازدیاد مستمر رهیب!وفی احصائیة اخری عن المانیا الغربیة جاء: ان ظاهرة تعاطی المخدرات فی حالة ارتفاع بین النساء والفتیات الصغیرات!! فی حین ان کل انسان یعرف ماذا تعنی هذه السموم من الموت العاجل، ومع ذلک تراهم یعملون لیل نهار، ویمدون ایدیهم، ویمارسون التسول فی سبیل ان یشتروا المخدرات لیغیبوا بها عن هذا العالم ساعة او ساعتین!تری لماذا یفعل الانسان الغربی کل ذلک؟ الجواب لانه لا یشعر بالراحة والسعادة فی ظل الثقافة المادیة، فالخوف یلاحقه، وهو یبحث عن الشهوات، وهو مقید بعشرات القیود المادیة.

الحیاة فی ظل الاسلام

تری هل هذه هی الحیاة الحقیقیة ام الحیاة التی یدعو الیها الاسلام؟ ان الاسلام یجعل الانسان یعیش السعادة حتی وهو یرزح تحت أحلک الظروف، ولنا فی هذا المجال خیر اسوة وشاهد بالامام الکاظم (علیه السلام) الذی عاش المحن والمآسی فی سجون بغداد، ومع ذلک فقد کان یحمد الله – تعالی – ویشکره لانه وفر له فرصة مناسبة یتفرغ من خلالها للعبادة.وهکذا فان الحضارة الایمانیة هی من الناحیة النفسیة حضارة الحیاة، فی حین ان الحضارة المادیة هی حضارة الموت، وحتی لو رأیت انسانا یعیش علی الارض ویتحرک ولکنه فی الحقیقة میت اذا لم یکن یتبع الصراط الالهی القویم، فی حین ان الانسان الذی یعیش فی ظل المنهج الالهی هو انسان حی یعیش السعادة والطمأنینة.والدلیل علی ذلک ان الغربیین اصبحوا الیوم یهربون من الحیاة الی المخدرات، والمسکرات، والعربدة، والی کل ما من شأنه ان یلهیهم، الی درجة ان البعض منهم یفضل ان یتخلص من الحیاة بالانتحار، فالاحصائیات مذهلة فی هذا المجال، وهی فی حالة ازدیاد مستمر فی کل عام!ان الانسان انما یتهرب من هذه الحیاة لانها لیست الحیاة التی خلق لها، ولیست الحیاة التی یقول عنها القرآن الکریم:(یَآ أَیُّهَا الَّذِینَ ءَامَنُوا اسْتَجِیبُوا لِلّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاکُمْ لِمَا یُحْیِیکُمْ) (الانفال / ۲۴)، فالرسول (صلی الله علیه وآله) یدعو الناس الی ما یجعلهم یعیشون حیاة حقیقیة.وهکذا فاننا بحاجة الی رسول الله (صلی الله علیه وآله) لکی یغیر هذه الحیاة، فهذه الحیاة اصبحت الآن تافهة، فالانسان الذی یعیش فی الظلام لایمکن ان یفهم معنی النور، والبشریة تعیش الآن هذا الظلام، وهی متعطشة الی النور، وحینئذ ستدرک ان تلک المادیة الطاغیة التی کانت تعیشها انما کانت فی الحقیقة سجناً کبیراً، ولذلک قال – تعالی – فی معرض تبیینه لصفات الرسول (صلی الله علیه وآله):(یَآ أَیُّهَا النَّبِیُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَاکَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِیراً –

وَدَاعِياً اِلَی اللَّهِ بِاِذْنِهِ وَسِرَاجاً مُّنِيراً) (الاحزاب / ۴۵ - ۴۶).

انهم يحطمون القيم

اننا نعيش حياة ملؤها الظلام الدامس، والجور الی درجة ان الانسان يتمنی الموت لکی يتخلص منها ومن جبروت الجبارين وطغيانهم وظلمهم، فهم يحطمون القيم بطرق مختلفة، وينشرون الاباحية، ويحاربون کل من يدعو الی الله - جل وعلا -.والسؤال المهم الذی اريد ان اطرحه هنا هو: کيف نعيد البشرية الی حياة الرسول (صلی الله عليه وآله)، الی تلک الحياة المليئة بالسعادة الروحية، والهناء المادی؟ والجواب يتلخص فی نقطتينمهمتين:۱- ضرورة وجود مجموعة من الناس الذين لايهابون اية قوة، ويحملون رسالات الله، والذين قال عنهم الله - عز وجل -:(الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَداً اِلَّا اللَّهَ) (الاحزاب / ۳۹)، ووجود مثل هؤلاء کفيل باعادة البشرية الی تلک الحياة السعيدة القائمة علی القيم والمثل الالهية.۲- ان نتحدث للعالم عن حياة الرسول (صلی الله عليه وآله) وانجازاته العظيمة، والسؤال المطروح هنا: ترى کم کتبنا عن شخصية النبی (صلی الله عليه وآله)، وهل نحن فی المستوى المطلوب فی هذا المجال؟لقد کُتبت وأُلفت الکثير من الکتب من قبل المستشرقين، وهم يکتبون کأعداء، ويتکتمون علی الکثير من الحقائق، فأين نحن من الرسول (صلی الله عليه وآله)؟ واين نحن من الامام السجاد (عليه السلام) الذی کان يقول ": کنا ندرس مغازی الرسول (صلی الله عليه وآله) کما ندرس القرآن!"

مسؤولية کبيرة

ان علينا الآن مسؤولية کبيرة ازاء اطفالنا، فنحن مکلفون بتعليمهم سيرة الرسول (صلی الله عليه وآله) لکی تعيش هذه الشخصية العظيمة فی قلوبهم. ترى کم واحداً منا قرأ کتابا عن حياة النبی (صلی الله عليه وآله)؟ وهل تکفی قراءة هذا الکتاب الواحد؟ وکيف يکون الرسول نبينا ونحن لانعرفه؟ ان معرفة الرسول والأئمة شرط من شروط کمال الانسان.ولذلک فان من الواجب علينا ان نعرف الرسول (صلی الله عليه وآله) أولا، ثم نعرف العالم به بعد ذلک لکی نستطيع ان نقدم صورة ناصعة لهذه الشخصية العظيمة الی البشرية وهی تعيش اليوم احلک الظروف وأکثرها تأزما حيث تصبح الحاجة الی النهج الذی بشرت به هذه الشخصية حاجة اساسية من حاجات العالم اليوم.

پاورقی

[۱] نهج البلاغة / کتاب ۴۵.

[۲] نهج البلاغة / من غريب کلامه (ع) / رقم ۹.

[۳] ناسخ التواريخ / ج ۳.

[۴] اصول الکافی / ج ۲ / ص ۴۶۸.

[۵] بحار الأنوار ج ۸۹ / ص ۱۹۷.

[۶] بحار الأنوار / ج ۷۴ / ص ۵۹.

[۷] بحار الأنوار / ج ۲۵ / ص ۱۶.

[۸] بحار الأنوار / ج ۵۳ / ص ۱۸۷.

[۹] بحار الأنوار / ج ۱۹ / ص ۱۸۰.

[۱۰] نهج البلاغة / من غيب کلامه -۹-.

[۱۱] البحار / ج ۱۰ / ص ۴۰.

[۱۲] بحار الأنوار / ج ۳۵ / ص ۱۷۷.

[۱۳] بحار الأنوار / ج ۱۶ / ص ۴۰۶.

[۱۴] نهج البلاغة / کتاب ۴۵.

[۱۵] الکافی / ج ۲ / ص ۴۹۴.

[۱۶] المصدر السابق / ص ۴۹۳.

[۱۷] المصدر السابق / ص ۴۹۲.

[۱۸] المصدر السابق.

[۱۹] بحار الأنوار / ج ۹۱ / ص ۴۷.

[۲۰] الکافی / ج ۲ / ص ۴۹۳.

[۲۱] بحار الأنوار / ج ۹۱ / ص ۷۰.

[۲۲] بحار الأنوار / ج ۹۱ / ص ۷۱.

[۲۳] بحار الأنوار / ج ۲ / ص ۱۴۴.

[۲۴] بحار الأنوار / ج ۱۶ / ص ۱۱۵.

[۲۵] نهج البلاغة / خطبة ۸۹.

[۲۶] الکافی / ج ۲ / ص ۱۶۳.

[۲۷] بحار الأنوار / ج ۲۰ / ص ۱۸۹

[۲۸] بحار الأنوار / ج ۱۶ / ص ۲۶۰.

[۲۹] بحار الأنوار / ج ۱۹ / ص ۲۲.

[۳۰] بحار الأنوار / ج ۳۵ / ص ۱۷۷.

[۳۱] بحار الأنوار / ج ۷۲ / ص ۳۸.

[۳۲] نهج البلاغة / من غریب کلامه -۹-

[۳۳] بحار الأنوار / ج ۳۹ / ص ۵۶.

[۳۴] بحار الأنوار / ج ۲۲ / ص ۴۱۷.

[۳۵] الکافی / ج ۲ / ص.۵۴.

[۳۶] بحار الأنوار / ج ۸ / ص ۲۵۵.

[۳۷] بحار الأنوار / ج ۷۲ / ص ۳۶۷.

[۳۸] بحار الأنوار / ج ۶۱ / ص ۲۷۱.

[۳۹] بحار الأنوار / ج ۸۰ / ص ۱۴.

[۴۰] بحار الأنوار / ج ۷۹ / ص ۱۹۳.

[۴۱] بحار الأنوار / ج ۱۶ / ص ۲۴۹.

[۴۲] بحار الأنوار / ج ۴۳ / ص ۱۷۱.

[۴۳] بحار الأنوار / ج ۱۰۴ / ص ۹۷.

[۴۴] بحار الأنوار / ج ۴۳ / ص ۲۹۴.

[۴۵] بحار الأنوار / المصدر السابق.

[۴۶] بحار الأنوار / ج ۱۹ / ص ۱۸۰.

[۴۷] بحار الأنوار / ج ۱۶ / ص ۲۱۰.

[۴۸] بحار الأنوار / ج ۴۱ / ص ۱۶۲.

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فی سَبیلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علیّ بْنُ موسَی الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا... َ يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا وَ يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فی تلخیص بحار الأنوار، للعلّامة فیض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُیونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّیخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع "القائمیّة" الثّقافیّ بأصبَهانَ – إیرانَ: الشهید آیة الله "الشمس آبادی" – رَحِمَهُ اللهُ – کان أحداً من جَهابذة هذه المدینة، الذی قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَیت النبیّ (صلواتُ اللهِ علَیهِم) و لاسیَّما بحضرة الإمام علیّ بن موسَی الرِّضا (علیه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرجَهُ الشَّریفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درایته، فی سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجریّة الشمسیّة (=۱۳۸۰ الهجریّة القمریّة)، مؤسَّسةً و طریقةً لم یَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ کلَّ یوم.

مرکز "القائمیّة" للتحرِّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إیرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجریّة الشمسیّة (=۱۴۲۷ الهجریّة القمریّة) تحتَ عنایة سماحة آیة الله الحاجّ السیّد حسن الإمامیّ – دامَ عِزّهُ – و مع مساعَدَةِ جمعٍ من خِرّیجی الحوزات العلمیّة و طلاب الجوامع، باللیل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دینیّة، ثقافیّة و علمیّة...

الأهداف: الدّفاع عن ساحة الشیعة و تبسیط ثَقافة الثَّقَلَین (کتاب الله و اهل البیت علیهِمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزیز دوافع الشّباب و عموم الناس إلی التَّحَرِّی الأدَقّ للمسائل الدّینیّة، تخلیف المطالب النّافعة – مکانَ البَلاتیثِ المبتذلة أو الرّدیئة – فی المحامیل (=الهواتف المنقولة) و الحواسیب (=الأجهزة الکمبیوتریّة)، تمهید أرضیّةٍ واسعةٍ جامعةٍ ثَقافیّةٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البیت –علیهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققین و الطّلّاب، توسعة ثقافة القراءة و إغناء أوقات فراغة هُواةِ برامِجِ العلوم الإسلامیّة، إنالة المنابع اللازمة لتسهیل رفع الإبهام و الشُّبُهات المنتشرة فی الجامعة، و...

– مِنها العَدالة الاجتماعیّة: التی یُمکِن نشرها و بثّها بالأجهزة الحدیثة متصاعدةً، علی أنّه یُمکِن تسریعُ إبراز المَرافِق و التسهیلاتِ – فی آکناف البلد – و نشرِ الثّقافةِ الاسلامیّة و الإیرانیّة – فی أنحاء العالَم – مِن جِهةٍ اُخرَی.

– من الأنشطة الواسعة للمرکز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ کتبٍ، کتیبة، نشرة شهریّة، مع إقامة مسابقات القِراءة

ب) إنتاجُ مئات أجهزةٍ تحقیقیّة و مکتبیة، قابلة للتشغیل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثُلاثیّةِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّکة و... الأماکن الدینیّة، السیاحیّة و...

د) إبداع الموقع الانترنتی "القائمیّة" www.Ghaemiyeh.com و عدّة مَواقِع اُخَرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضیّة، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمریّة

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابة الأسئلة الشرعیّة، الاخلاقیّة و الاعتقادیّة (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسیم النظام التلقائیّ و الیدویّ للبلوتوث، ویب کشک، و الرّسائل القصیرة SMS

ح) التعاون الفخرىّ مع عشراتِ مراكزَ طبيعيّة و اعتباريّة، منها بيوت الآيات العِظام، الحوزات العلميّة، الجوامع، الأماكن الدينيّة كمسجد جَمكرانَ و...

ط) إقامة المؤتمَرات، و تنفيذ مشروع "ما قبلَ المدرسة "الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِكين فى الجلسة

ى) إقامة دورات تعليميّة عموميّة و دورات تربية المربّى (حضوراً و افتراضاً) طيلة السَّنَة

المكتب الرّئيسىّ: إيران/أصبهان/ شارع"مسجد سيّد/ "ما بينَ شارع"پنج رَمَضان "ومُفترَق"وفائى/"بناية"القائميّة"

تاريخ التأسيس: ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجرية القمريّة)

رقم التسجيل: ۲۳۷۳

الهويّة الوطنيّة: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البريد الالكترونى: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتى: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاكس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مكتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التِّجاريّة و المَبيعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمين ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

الميزانيّة الحاليّة لهذا المركز، شَعبيّة، تبرّعيّة، غير حكوميّة، و غير ربحيّة، اقتُنِيَت باهتمام جمع من الخيّرين؛ لكنّها لا تُوافِى الحجمَ المتزايد و المتّسِعَ للامور الدّينيّة و العلميّة الحاليّة و مشاريع التوسعة الثّقافيّة؛ لهذا فقد ترجَّى هذا المركزُ صاحِبَ هذا البيتِ (المُسمَّى بالقائميّة) و مع ذلك، يرجو مِن جانب سماحة بقيّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالى فرَجَهُ الشَّريفَ) أن يُوفِّقَ الكلَّ توفيقاً متزائداً لِإعانتهم - فى حدّ التّمكّن لكلّ احدٍ منهم – إيّانا فى هذا الأمر العظيم؛ إن شاءَ اللهُ تعالى؛ و اللهُ ولىّ التوفيق.

مركز القائمية اصفهان
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
WWW
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹